

سلسلة سير وقيم



# مواقف الرجال

قيم الصحابة رضي الله عنهم في مرآة الأحداث  
اثنا وعشرون خُلُقاً، ومئة وأربعة وخمسون موقفاً من سيرة النبي  
ﷺ وأصحابه

إعداد: د. محمد عمارة

## مقدمة

الحمد لله الذي اختار لصحبة نبيه ﷺ خير جيلٍ عرفته البشرية، فحملوا رسالته بصدقٍ لم تُعرف له نظائر، وضخّوا من أجلها بما تعجز عنه الجبال الرواسي. والصلاة والسلام على معلّم هذا الجيل الفريد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

### حسن الخلق: غاية الرسالة وميزان القلوب

لم يبعث الله نبيه ﷺ ليُعلّم الناس شعائر التعبّد وحدها، بل ليتمّم لهم مكارم الأخلاق ويجعلها جوهر الدين وثمرته. قال الله تعالى واصفاً نبيه ﷺ بأعظم وصفٍ يُوصف به بشر:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم: 4)

ولم يكن هذا الخلق العظيم مجرد سمةٍ شخصية، بل كان سرّ التفاف الناس حول رسالته وانجذابهم إليها، كما بيّن القرآن نفسه حين ربط لين جانبه ﷺ برحمة الله عليه وعلى أُمته:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ<sup>صَل</sup> وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

﴿حَوْلِكَ

وقد صرّح النبي ﷺ بأن غاية بعثته الأولى كانت تكميل هذا الجانب من الدين، فقال فيما رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسندٍ حسنٍ أهل العلم:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

مسند الإمام أحمد، والأدب المفرد للبخاري.

ولم يكتفِ النبي ﷺ بهذا التصريح العام، بل ربط حسن الخلق بكمال الإيمان نفسه، فقال فيما رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح:

«أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا».

سنن الترمذي (كتاب الرضاع).

بل جعل حسن الخلق أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، فقال فيما رواه أبو داود والترمذي بسندٍ حسنٍ:

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَسَنِ الْخُلُقِ، وَإِنْ اللَّهُ لِيَبْغِضَ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

سنن أبي داود وسنن الترمذي.

وحين سُئِلَ النبي ﷺ عن حقيقة البرِّ، اختصر الجواب في كلمةٍ جامعة، فيما رواه مسلم:

صحيح مسلم (كتاب البر والصلة).

وجعل النبي ﷺ أقرب الناس منه مجلساً يوم القيامة هم أحسنهم خلقاً، فقال فيما رواه الترمذي بسندٍ حسن:

«إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً».

سنن الترمذي (كتاب البر والصلة).

فإذا كان حسن الخلق بهذه المنزلة عند الله ورسوله ﷺ، فإن أصدق طريقٍ لفهمه ليس تعريفه النظري، بل تأمل سير من تخلّقوا به حق التخلّق: صحابة رسول الله ﷺ، الذين حولوا هذه المعاني من ألفاظٍ تُروى إلى مواقف تُعاش.

فهذا كتابٌ يجمع مئةً وأربعةً وخمسين موقفاً من سيرِ النبي ﷺ وأصحابه ونسائه الصالحات، موزعة على اثنين وعشرين خُلُقاً: محبة النبي ﷺ، والإخلاص، والصدق، واليقين، والتوكل، والأمانة، وبرّ الوالدين، والرحمة، والحلم والعفو، والغيرة على الدين والمحارم، والفداء، والصبر، والشجاعة، والعدل، والوفاء، والجود والسخاء، والإيثار، والزهد، والقناعة، والحياء، والتواضع، والعلم.

وقد آثرتُ أن أبدأ الكتاب بحبة النبي ﷺ، إذ هي الأصل الذي ننتفع عنه كل الأخلاق الأخرى؛ فمن أحبّ النبي ﷺ حق المحبة، اقتدى بصدقه، وتعلّم يقينه، وحمل فداءه وصبره وعدله في قلبه قبل جوارحه. ثم رتبتُ الفصول بعدها في مجموعاتٍ متقاربة المعنى: أخلاق القلب والاعتقاد أولاً (الإخلاص، الصدق، اليقين، التوكل)، ثم أخلاق الأمانة والصلة (الأمانة، برّ الوالدين، الرحمة، الحلم، الغيرة)، ثم أخلاق البذل والثبات (الفداء، الصبر، الشجاعة، العدل، الوفاء، الجود، الإيثار، الزهد، القناعة)، ثم أخلاق الظاهر والباطن ختاماً (الحياء، التواضع، العلم). غير جازمٍ بأن هذا الترتيب حكمٌ فاصل، فالأخلاق كلها متكاملة لا يُغني بعضها عن بعض.

التزمتُ في اختيار هذه المواقف وتوثيقها منهجاً يُقدّم ما ثبت في الصحيحين أو أحدهما، ثم ما صحّ أو حسن من غيرهما، ثم ما ثبت بأصله في كتب السيرة المعتبرة كسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، مع التنبيه صراحةً كلما كان في السند أو المتن ما يستحق الإشارة إليه من كلام أهل العلم.

وفي كل فصلٍ سبعة مواقف، يتلو كل موقفٍ منها "وقفة تأمل" أحاول فيها أن أربط الموقف التاريخي بواقعنا المعاصر، لا استطراداً في الوعظ، بل استخلاصاً لمعنى عملي يصلح أن يكون زاداً يومياً.

وقد آثرتُ أن يتكرر بعض الصحابة رضي الله عنهم في أكثر من فصل، لأن الواحد منهم غالباً ما جمع بين خصالٍ متعددة، فلا تعجب حين ترى أبا بكرٍ أو عمر أو علياً حاضرين في أكثر من موضع؛ فذلك من سعة فضلهم لا من قلة المادة.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه، وأن يجعله سبباً في اقتداءٍ عملي لا مجرد إعجابٍ عابر، إنه سميعٌ مجيب.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(الأحزاب: 21)

# فهرس المحتويات

2

مقدمة

9

الفصل الأول — محبة النبي ﷺ

25

الفصل الثاني — الإخلاص

41

الفصل الثالث — الصدق

57

الفصل الرابع — اليقين وحسن الظن بالله

73

الفصل الخامس — التوكل على الله

89

الفصل السادس — الأمانة

105

الفصل السابع — برّ الوالدين

121

الفصل الثامن — الرحمة

137

الفصل التاسع — الحلم والعفو

153

الفصل العاشر — الغيرة على الدين والمحارم

169

الفصل الحادي عشر — الفداء والتضحية

185

الفصل الثاني عشر – الصبر على الابتلاء

---

201

الفصل الثالث عشر – الشجاعة والثبات

---

217

الفصل الرابع عشر – العدل

---

233

الفصل الخامس عشر – الوفاء

---

249

الفصل السادس عشر – الجود والسخاء

---

265

الفصل السابع عشر – الإيثار

---

281

الفصل الثامن عشر – الزهد

---

297

الفصل التاسع عشر – القناعة

---

313

الفصل العشرون – الحياء

---

329

الفصل الحادي والعشرون – التواضع

---

345

الفصل الثاني والعشرون – العلم والفقہ في الدين

---



## الفصل الأول

# محبة النبي ﷺ



محبة النبي ﷺ ركنٌ من أركان الإيمان لا تكتمل الشهادة إلا بها. قال  
ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه

من والده وولده والناس أجمعين». سبعة مواقف من صحابةٍ تجاوزت  
محبتهم للنبي ﷺ كل رابطةٍ أخرى في حياتهم.

# الآن يا عمر

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمر بن الخطاب يوماً للنبي ﷺ معبراً عن عمق محبته: يا رسول الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فأراد النبي ﷺ أَنْ يَرْتَقِيَ بِحُبِّهِ عُمَرَ إِلَى مَقَامٍ أَعْلَى، إِذْ ثَمَّةُ فَرْقٌ دَقِيقٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَحْبُوبُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ النَّفْسِ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَقْدَّمُ عَلَيْهَا. فقال له: «لا يا عمر، حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ».

فتأمل عمر في نفسه لحظة، ثم قال بصدق: فإنه الآن، والله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فقال النبي ﷺ مقراً بذلك: «الآن يا عمر».

صحيح البخاري (كتاب الأيمان والنذور، حديث محبة عمر للنبي ﷺ).

لم يكذب عمر ولم يجامل حين قال أول مرة إن النبي ﷺ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسَهُ، لكنه حين وُضِعَ أَمَامَ تَصْحِيحِ نَبِيِّ، صدق مع نفسه في مراجعة مشاعره حتى وصل إلى الدرجة المطلوبة بصدق لا بتكلف.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن محبة النبي ﷺ الكاملة تتجاوز حتى حب النفس، وهذا معيار لا يُدرك دفعة واحدة، بل بمراجعة صادقة كما فعل عمر. من يقبل التصحيح في مشاعره

ولا يكابر عليها، يبلغ درجاتٍ من الصدق العاطفي قلّ من يبلغها؛ فالمحبة الحقّة  
تنمو بالمراجعة لا بالادّعاء المتعجل.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ

# اخترتك على أبي

زيد بن حارثة رضي الله عنه

وقع زيد بن حارثة في الرق صغيراً، فاشتراه النبي ﷺ قبل البعثة، فأحسن معاملته حتى أحبه حباً عظيماً. وحين علم أبوه حارثة وعمّه مكانه، قدما إلى مكة يفديانه بمالٍ كثير ليعود معهما إلى أهله. فخيرّه النبي ﷺ بين البقاء عنده أو العودة مع أبيه حراً.

فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم! فبُهِت أبوه وعمّه من هذا الاختيار، فقال النبي ﷺ إعلاناً لتكريمه: «يا معشر قريش، اشهدوا أن زيدا ابني، يرثني وأرثه». ومن يومئذٍ سُمِّيَ "زيد بن محمد" حتى نزل التشريع بإبطال التبنيّ فعاد اسمه "زيد بن حارثة" مع بقاء مكانته كاملة.

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، وأصل التبني وإبطاله ثابت في صحيح البخاري وتفسير سورة الأحزاب.

اختار زيد الحرية المصحوبة بفراق النبي ﷺ مقابل عبودية ظاهرية بجواره، فرفض الحرية نفسها حين تعني الابتعاد عن أحب.

فتأمل أنه حين تفوق محبة القلب كل اعتبارٍ مادي، حتى الحرية والنسب،  
تكون هذه المحبة قد بلغت عمقاً استثنائياً. زيد لم يفضل العبودية على الحرية،  
بل فضل قرب من أحب على كل ما عداه؛ فمن ذاق حلاوة القرب من  
محبوبه الحق، هانت عليه كل الحريات الأخرى في مقابله.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ

# ما قال لي أفًا قط

أنس بن مالك رضي الله عنه — عشر سنوات خدمة

أرسلت أم أنس بن مالك ابنها وهو صغير ليعلم النبي ﷺ، فبقي أنس في خدمته عشر سنوات كاملة منذ قدوم النبي ﷺ المدينة، يلازمه في بيته وأسفاره، شاهداً على أدق تفاصيل حياته اليومية.

قال أنس واصفاً تلك السنوات فيما رواه البخاري ومسلم: «خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، فوالله ما قال لي أفٌ قط، وما قال لشيءٍ فعلته: لمَ فعلتَ كذا؟ ولا لشيءٍ تركته: لمَ تركتَ كذا؟».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الفضائل، حديث خدمة أنس للنبي ﷺ).

لم تكن خدمة أنس عبثاً يتحمّله، بل كانت أثمن سنوات حياته كما وصفها هو نفسه، وظل يرويها بفخر واعتزاز حتى آخر أيامه، محبةً لمن خدمه.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أنه حين تكون الخدمة محبة لا واجباً مفروضاً، لا تشعر بثقلها مهما طال أمدُها. عشر سنوات من الملازمة اليومية لم تُنتج شكوى واحدة من أنس،

لأن قلبه كان يرى فيها شرفاً لا عبثاً؛ فالخدمة التي تُبنى على الحب لا تُحصى  
سنواتها ثقلاً، بل تُعدّ بركةً كلها طالت.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ



# خوف من فراقه حتى في الجنة

ثوبان رضي الله عنه - مولى النبي ﷺ

كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد التعلق به، لا يطيق البعد عنه، حتى لاحظ النبي ﷺ عليه تغييراً في هيئته يوماً، فسأله: «ما غير لونك؟» فقال ثوبان: يا رسول الله، ما بي مرض ولا وجع، غير أنني إذا لم أرك اشتقتُ إليك اشتياقاً شديداً حتى ألقاك، ثم ذكرتُ الآخرة، فأخاف ألا أراك، لأنك تُرفع مع النبيين في الفردوس الأعلى، وأنا إن دخلتُ الجنة كنتُ أدنى منزلةً منك، وإن لم أدخل فلن أراك أبداً.

فنزله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء: 69)، مطمئناً ثوبان أن طاعة الله ورسوله كفيلة بجمع المحبين في الآخرة.

أخرجه الطبراني وابن كثير في التفسير، وله شواهد تقويه في أسباب النزول. لم يخف ثوبان فراق الدنيا القصير، بل خاف فراقاً أبدياً في الآخرة، وهذا يكشف عن عمق تعلقه القلبي بالنبي ﷺ الذي تجاوز حدود الحياة الدنيا.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن محبة النبي ﷺ حين تبلغ عمقها الحقيقي، لا تقلق من فراقٍ عابر بقدر ما تقلق من فراقٍ أبدي. طمأنة القرآن لثوبان تعلبنا أن طاعة الله ورسوله، لا

مجرد التمني، هي الطريق الحقيقي لجمع الأحبة في الآخرة، فمن أراد قرب النبي ﷺ في جنته، فليقرب من سنته في دنياه.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ

# أبكي على انقطاع خبر السماء

أم أيمن رضي الله عنها - حاضنة النبي ﷺ

كانت أم أيمن حاضنة النبي ﷺ منذ صغره، ولم تفارقه حتى وفاته، وكان يقول عنها: «هذه بقية أهل بيتي». فلما توفي النبي ﷺ، ذهب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لزيارتها كما كان يفعل النبي ﷺ، فوجداها تبكي بكاءً شديداً.

فقالا لها: ما يُبكيك؟ أما علمت أن ما عند الله خيرُ لرسوله ﷺ؟ فقالت: إني والله ما أبكي لأني لا أعلم أن ما عند الله خيرُ لرسول الله ﷺ، ولكنني أبكي لأن الوحي قد انقطع من السماء. فأبكتهما، فجعلا يبكيان معها.

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث بكاء أم أيمن).

لم يكن حزن أم أيمن جزعاً على فراق شخصٍ عزيزٍ فحسب، بل كان إدراكاً عميقاً لحجم ما فقدته الأمة بانقطاع الوحي، فجمعت بين محبتها الشخصية وإدراكها لعظم المصائب على الدين كله.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن المحبة الناضجة تعرف كيف تُميّز بين حزنٍ مشروعٍ وجزعٍ مذموم. أم أيمن لم تُتكرر قضاء الله، لكنها بكت على ما فقدته الأمة من نعمة الوحي

المباشر، فكان بكاؤها إدراكاً لا اعتراضاً؛ ومن بكى على ما فيه صلاح أمته لا على حظ نفسه وحده، فذلك أصدق أنواع المحبة.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ

# أذان أبي المدينة

بلال بن رباح رضي الله عنه — بعد وفاة النبي ﷺ

بعد وفاة النبي ﷺ، لم يستطع بلال بن رباح أن يؤذن في المدينة كما كان يفعل طوال حياته معه، فزن حزناً شديداً وانتقل إلى الشام مرابطاً، لأن صوته كان يذكره في كل مرة بغياب من كان يسمع أذانه. تُروى في بعض المصادر التاريخية أنه زار المدينة مرة، فطلب منه بعض الصحابة أو سبطا النبي ﷺ الحسن والحسين أن يؤذن كما كان يفعل، فوافق بعد تردد.

فلما بلغ كلمة "أشهد أن محمداً رسول الله"، انخفق صوته بالبكاء وتذكر النبي ﷺ يسمعه، فبكى بكاءً شديداً، وبكى معه أهل المدينة الذين تذكروا أيام النبي ﷺ عند سماع صوته من جديد.

هذه الرواية مشهورة في كتب السيرة والتراجم المتأخرة (كسيرة أعلام النبلاء للذهبي بروايات متعددة)، وقد اختلف أهل العلم في تقييم قوة إسنادها، لكنها تحمل معنىً صحيحاً عن تعلق بلال بالنبي ﷺ الثابت في مصادر أخرى.

لم يكن بلال يهرب من أذانه كراهيةً له، بل لأن كل نداء كان يعيد إلى ذاكرته صوت النبي ﷺ يستجيب له، فصار الأذان نفسه أثقل من أن يحمله بعد فراقه.

فتدبر أن أعمق مشاعر المحبة قد تكون في الأشياء التي يتجنبها المرء لا التي يفعلها، لأن ذكراها تفوق طاقته على التحمل. حزن بلال على فراق النبي ﷺ ظل حياً في صوته حتى بعد سنوات، شاهداً على عمق تعلق القلب الذي لا يذبل بمرور الزمن.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ

# حنينُ الجذعِ شوقاً إليه

كما رواه جابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضي الله عنهما

كان النبي ﷺ في أول أمر المسجد يخطب الناس مستنداً إلى جذع نخلة يقوم مقام المنبر، فلما كثر المسلمون، اقترحوا عليه أن يُصنع له منبرٌ يقف عليه ليراه ويسمعه من في آخر المسجد، فصنع له منبرٌ ذو درجات، وترك النبي ﷺ الجذع القديم وانتقل إليه.

فلما خطب النبي ﷺ أول مرة من فوق المنبر الجديد، سمع الحاضرون صوت أنينٍ وحنينٍ يخرج من الجذع الذي هُجر، كحنين الناقة على فراق ولدها، حتى ارتجّ المسجد باضطراب الناس لهذا الصوت الغريب. فنزل النبي ﷺ عن المنبر مسرعاً، واحتضن الجذع بيديه حتى سكن أنينه، ثم قال: «لو لم أحتضنه لظل يئنّ إلى يوم القيامة حزناً على فراق رسول الله».

صحيح البخاري (كتاب المناقب، حديث حنين الجذع)، رواه جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة بألفاظ متقاربة.

لم يكن هذا الحنين من إنسانٍ يعقل ويتكلم، بل من جذع خشبٍ جامد، ومع ذلك أظهر الله فيه من الشوق إلى قرب النبي ﷺ ما لم يُظهره كثيرٌ من بني آدم، وكأن الله أراد أن يُري أصحابه أن محبة هذا النبي الكريم امتدت لتشمل حتى الجماد.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن هذه المعجزة لم تكن لتثبت للناس مكانة النبي ﷺ فحسب، بل  
لتُخجل قلوب بني آدم التي قد تقسو عن الشوق إلى من يستحق أعظم  
الشوق. جذعٌ من خشبٍ حنّ إلى قرب النبي ﷺ فسكنه هو بيده، فكيف  
بقلوبنا التي خلقت لتحبّ وتشتاق؟ من قرأ هذا الحديث ولم يتحرك قلبه شوقاً  
إلى سيرة من حنّ إليه الجماد، فليراجع صدق محبته.

مواقف الرجال · الفصل الأول: محبة النبي ﷺ



## الفصل الثاني

# الإخلاص



الإخلاص أصل الأصول عند أهل العلم، وهو شرط لا يقبل عمل بدونه مهما عظم في الظاهر. قال الله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾

(البينة: 5)

سبعة مواقف من صحابة جعلوا أعمالهم كلها خالصة لوجه الله، لا  
يبتغون عليها من الناس جزاءً ولا شكوراً.

# عتق لا ينتظر عليه جزاء

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - سبب نزول آخر سورة الليل

كان أبو بكر الصديق يشتري ضعفة المستضعفين من العبيد المعذبين في مكة ليعتقهم، لا يفرق بين قويٍّ يُرجى نفعه وضعيفٍ لا يُرجى منه رد جميل، حتى عاتبه بعض أهله قائلين: يا أبت، إنك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك تعتق رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك! فأجابهم بما يكشف عن حقيقة نيته في هذا العتق كله.

فقال أبو بكر: يا بني، إني أريد ما عند الله. وقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى في ختام سورة الليل نزل فيه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى.

أورد سبب النزول الطبري وابن كثير في تفسيريهما، وأصل عتق أي بكر لضعفاء العبيد ثابت في السيرة (سيرة ابن هشام) وأشار إليه البخاري في مناقب بلال. لم يكن أبو بكر يحسب من عتقائه من سيرد له معروفاً يوماً، فبال نفسه كان عبداً ضعيفاً لا حول له ولا قوة يحمي بها أبا بكر، ومع ذلك اختاره أبو بكر لعتقه لأن غايته لم تكن كسب حليف، بل كسب مرضاة الله وحده.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن علامة الإخلاص الكبرى أن يبذل المرء معروفه لمن لا يرجي منه رد جميل ولا حتى شكر ظاهره. أبو بكر لم يشتري ولاً بشرياً، بل اشترى رضا من لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين. ومن أراد أن يعرف صدق إخلاصه، فليسأل نفسه: هل يبذل معروفه لمن يستطيع أن يردّه أم لمن لا يستطيع؟

مواقف الرجال · الفصل الثاني: الإخلاص

# إنما الأعمال بالنيات

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - مهاجر أم قيس

روى عمر بن الخطاب حديثاً صار أصلاً تُبنى عليه أبواب الفقه كلها، حديثاً يكشف أن العمل الواحد قد يتفاضل صاحباه فيه تفاضلاً عظيماً بحسب ما استقر في القلب من نية، وإن تشابهت الصورة الظاهرة تماماً.

قال النبي ﷺ فيما رواه عمر: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهو أول حديث يُفتح به كثير من كتب الحديث لعظم شأنه. وقد كان سبب هذا الحديث، كما ذكر أهل السير، أن رجلاً هاجر من مكة لا رغبةً في الله ورسوله، بل ليتزوج امرأة يُقال لها أم قيس كانت قد هاجرت قبله، فسُمي بين الصحابة "مهاجر أم قيس" تذكيراً بأن صورة الهجرة وحدها لا تكفي إن غابت عنها النية الخالصة.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن العمل الواحد بعينه قد يكون عبادةً عند رجلٍ ومعصيةً عند غيره، أو عبادةً كاملةً الأجر عند رجلٍ ومنقوصةً عند غيره، والفارق كله في القلب لا

في الجوارح. من أراد أن يزن أعماله بميزانٍ صحيح، فليسأل نفسه قبل كل عمل: لماذا أفعل هذا؟ فإن الجواب هو الذي يحدد وزن العمل عند الله، لا صورته عند الناس.

مواقف الرجال · الفصل الثاني: الإخلاص

# اللهم اجعل سريري خيراً من علاني

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عُرف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعاءٌ كان يتردد على لسانه ويحرص عليه في خلواته، دعاءٌ يكشف عن فقهٍ عميق في حقيقة الإخلاص، إذ أدرك أن أخطر ما يهدد صلاح القلب ليس أن يقصر العن عن السر، بل أن يفوق العن السرّ، فيكون المرء عند الناس خيراً منه عند نفسه وعند ربه.

كان يدعو: «اللهم اجعل سريري خيراً من علاني، واجعل علاني صالحاً». فكان يطلب من الله أن يكون باطنه أركى من ظاهره، لا أن يكون ظاهره واجهةً تُخفي وراءها تقصيراً في السر.

هذا الدعاء مشهور في كتب الرقائق والزهد منسوباً إلى علي بن أبي طالب، وقد أورده جمعٌ من العلماء في كتبهم كدعاءٍ مأثور عنه في هذا الباب.

لم يكن علي يخشى أن يُقصر أمام الناس، فقد كان معروفاً بالشجاعة والعلم والعبادة، لكنه كان يخشى أن يكون كل ذلك واجهةً لا يقابلها في السر ما يقابلها في العن، فطلب من الله أن يجعل باطنه هو الأصل، وظاهره تابعاً له لا سابقاً عليه.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أخطر آفات القلب أن يهتم المرء بعلايته أكثر من سريره، فيُحسن ما يراه الناس ويُهمل ما لا يراه إلا الله. من دعا بهذا الدعاء بصدق، أدرك أن الميزان الحقيقي ليس في عيون الخلق، بل في علم الله بما تُخفي الصدور؛ فليكن سرك أفضل من علانيتك، لا العكس.

مواقف الرجال · الفصل الثاني: الإخلاص



# إنفاقٌ لا تعرف شماله ما تنفق يمينه

عثمان بن عفان رضي الله عنه - بين العطاء الظاهر والخفي

عُرِف عثمان بن عفان بعطائه الظاهر الذي شهده الناس، كتجهيز جيش العسرة وشراء بئر رومة، لكن أهل السير يذكرون أنه كان له من العطاء الخفي ما لا يقل عن عطائه المشهور، فكان يبعث بالصدقات إلى المحتاجين ليلاً متخفياً، ويأمر ألا يُذكر اسمه لمن يعطيهم.

وقد أصَّل النبي ﷺ لهذا النوع من العطاء حين ذكر السبعة الذين يُظْلَمُهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فقال فيما رواه البخاري ومسلم من بينهم: «ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

صحيح البخاري وصحيح مسلم (حديث السبعة الذين يظلمهم الله)، وأصل عطاء عثمان الخفي مذكور في كتب التراجم والسير.

لم يكن عثمان بحاجة إلى مزيدٍ من الثناء، فقد كان مشهوراً بجوده العلني، لكنه أراد أن يحفظ لنفسه نصيباً من العطاء لا يعرفه إلا الله، تحصيناً لإخلاصه من فتنة الذكر والثناء الذي لا بد أن يصيب من كثر عطاؤه الظاهر.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن من أعطى علانيةً فحسن، ومن أعطى سراً بجانب علانيته فأحسن؛ إذ  
العطاء الخفي يحفظ للقلب توازنه حين يشتد عليه إغراء الشاء العلني. من  
استطاع أن يجمع بين الاثنين، أعطى الناس القدوة وأعطى نفسه الوقاية.

مواقف الرجال · الفصل الثاني: الإخلاص

# حتى ما تجعل في امرأتك

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - النفقة على الأهل ابتغاء وجه الله

مرض سعد بن أبي وقاص مرضاً شديداً في حجة الوداع، فجاءه النبي ﷺ يعوده، فسأله سعد: يا رسول الله، إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلا ابنة، أفأصدق بثلاثي مالي؟ فقال: لا. قال: فالشطر؟ قال: لا. قال: فالثلث؟ فقال النبي ﷺ: «الثلث، والثلث كثير». ثم أراد أن يطمئن قلب سعد الذي كان يخشى أن يموت في مكة فيفوته أجر الهجرة، وأن ينفعه من ماله ما تبقى منه لأهله.

فقال له النبي ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي امْرَأَتِكَ». وطمأنه بأنه سيترك حتى ينفع به أقوامٌ ويُضِرَّ به آخرون.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (حديث وصية سعد بن أبي وقاص).  
كشف هذا الحديث حقيقةً عظيمةً في باب الإخلاص: أن النفقة على الأهل والزوجة، وهي أمرٌ يظنه كثيرون واجباً دنيوياً بحتاً لا علاقة له بالعبادة، تتحول إلى عبادةٍ مأجورةٍ إذا صحَّت فيها النية بابتغاء وجه الله.

فتدبر أن الإخلاص لا يقتصر على العبادات الظاهرة كالصلاة والصدقة المعلنة، بل يمتد إلى أدق تفاصيل الحياة اليومية: لقمة تُوضع في فم الزوجة، إن صحَّت نيتها، صارت عبادة تُثاب عليها. فمن أراد أن يجعل حياته كلها عبادة، فليصح نيته في كل عملٍ يومي يظنه دنيوياً بحتاً.

مواقف الرجال • الفصل الثاني: الإخلاص

# من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه - سؤال عن حقيقة الإخلاص في الجهاد

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يسأله سؤالاً محيراً كان يشغل كثيراً من المقاتلين: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه من الشجاعة، فأَيُّهم في سبيل الله؟ وكان أبو موسى الأشعري حاضراً هذا السؤال، فحفظ جواب النبي ﷺ الذي وضع معياراً واحداً فاصلاً لا يتغير مهما تعددت الدوافع الظاهرة.

فقال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم، رواه أبو موسى الأشعري.

لم يفرّق النبي ﷺ بين الدوافع بحسب قوة الشجاعة الظاهرة أو حجم التضحية، بل بحسب غاية القلب الخفية: هل يقاتل هذا الرجل لتُعلَى كلمة الله، أم لتُعلَى كلمته هو بين الناس؟ فبين أن أعظم الأعمال الظاهرة قد يُبطلها دافعٌ خفي، وأن أبسطها قد يُعظّمه إخلاصٌ صادق.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الأعمال قد تتشابه في صورتها الظاهرة تشابهاً تاماً، بينما تتفاوت في حقيقتها عند الله تفاوت السماء عن الأرض، والمعيار دائماً هو غاية القلب لا

بطولة الموقف. من أراد أن يعرف حقيقة عمله، فليسأل نفسه: هل أريد أن  
تُعلَى كلمة الله، أم أن تُعلَى كلمتي أنا باسم الله؟

مواقف الرجال · الفصل الثاني: الإخلاص

## هذا مني وأنا منه

جُلييب رضي الله عنه - إخلاصُ عرفه الناس بعد موته

كان جُلييب رجلاً فقيراً مجهول النسب لا يلتفت إليه أحد في المجالس، فزوّجه النبي ﷺ من امرأة أنصارية طيّبة الأصل. خرج جُلييب في إحدى الغزوات، وقاتل حتى استشهد، فلم يفقهه أحدٌ من كثرة الناس، ولم يكن يقاتل ليُذكر أو ليُرى مكانه، فلم يكن أصلاً معروفاً حتى يُفتقد.

فسأل النبي ﷺ بعد المعركة: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال: «لكنني أفقد جُلييباً». فطلبوه حتى وجدوه بين القتلى وقد قتل سبعة من المشركين قبل أن يُقتل، فوضع النبي ﷺ يديه عليه وقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه».

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث جلييب).  
لم يكن أحدٌ من الناس يعرف بطولة جُلييب حتى كشفها النبي ﷺ بعد استشاده،  
فما كان قتاله موجّهاً لأعين الناس أصلاً، إذ لم تكن أعينهم تلتفت إليه أصلاً، فكان  
إخلاصه محفوظاً في أصل حاله لا مُنتزِعاً بجهدٍ منه.

فتدبر أن أصدق الإخلاص ما لا يعرفه أحدٌ إلا الله، حتى لو لم يقصد صاحبه إخفاءه عمداً. جلييب لم يُخفِ عمله عن الناس تعمداً، بل كان مغموراً أصلاً، فحفظ له بذلك أصفى أنواع الإخلاص. ومن لم يكن معروفاً بين الناس، فليعلم أن غياب الأضواء عنه قد يكون نعمةً تحفظ له صفاء نيته، لا نقصاً يحزنه.

مواقف الرجال • الفصل الثاني: الإخلاص



## الفصل الثالث

# الصَّدَق



الصدق أصل الفضائل كلّها، وهو الميزان الذي لا يعرف الاعوجاج،  
وحين نتأمل أحوال القلوب تجد أن كل خلقٍ فاضلٍ إنما هو صدقٌ في  
موضعٍ من مواضعه. قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة: 119)

وفي هذا الفصل سبعة مواقف من صحابة رسول الله ﷺ آثروا الصدق  
ولو كلفهم كل شيء.

## تصديق بلا تردد

أبو بكر الصديق رضي الله عنه — حادثة الإسراء والمعراج

طلعت شمس مكة ذلك الصباح على خيرٍ لم تحتمله موازين العقل البشري كما عرفه الناس: أن محمداً ﷺ قد قطع في ليلةٍ واحدة ما تقطعه القوافل في شهر، ثم عرج به إلى ما وراء السماوات السبع، ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد. فارتجت مكة بالسخرية، وتراكم المشركون بين الأزقة يتناقلون الخبر كما يُنقل نادرة يُراد بها الطعن لا الفهم.

وثمة فارقٌ دقيق يستحق التأمل: لم يكن مصدر إنكار قريش جهلاً بصدق محمد ﷺ، بل كان استعظاماً للمعجزة ذاتها؛ فالعقل حين يواجه ما يتجاوز مألوفه، ينقسم أهله فريقين: فريقٌ يزن الخبر بمقياس الغرابة، وفريقٌ يزنه بمقياس صاحبه. وكان أبو بكر من الفريق الثاني وحده تقريباً بين جموع مكة.

أسرعوا إليه يحملون الخبر ظانين أن صخرة يقينه ستصدع كما تصدّع يقين غيره، فقال بصوتٍ لم يعرف ارتجافاً:

«لئن كان قال ذلك لقد صدق، وما يُعجبكم من ذلك؟! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار، فأصدقه، وذلك أبعد مما تعجبون منه».

فسمّاه رسول الله ﷺ من يومئذٍ «الصدّيق»، لا تصديقاً لخبرٍ عابر، بل إقراراً بمنهج تصديقٍ صار سنةً قلبه في كل قضية.

الحادثة مشهورة في كتب السيرة (سيرة ابن هشام، ودلائل النبوة للبيهقي)، وأصل تلقيبه بـ"الصدّيق" ثابتٌ في غير موضع من الصحيحين.

وهنا يكمن سرّ هذا الثبات الذي حير الأولين والآخرين: لم يكن إيمان أبي بكر وليد لحظته، بل كان ثمرة سنين طويلة راقب فيها صاحبه في السرّ كما في العلن، فلم يجد فيه إلا صدقاً لا يتلون. ومن عرف الأصل، لم يستغرب الفرع مهما بدا خارقاً.

#### ◆ وقفة تأمل

فتدبّر أن التصديق الحق ليس استسلاماً للغيب المجرد، بل ثمرة قربٍ من مصدر الخبر يجعل الغيب نفسه أقرب من أن يُستغرب. فكل من أراد أن يبلغ يقين الصدّيق، فليطلب أولاً قرباً من الله يُذيب استبعاد المكّات، وقرباً من سنة نبيه ﷺ تُعلّم القلب أن أعظم المعجزات لا تُقاس بمقياس المألوف، بل بمقياس القدرة التي لا تُحد.

# الصدق الذي أنقذ صاحبه

كعب بن مالك رضي الله عنه — تخلفه عن غزوة تبوك

تجهّز رسول الله ﷺ لغزوة تبوك في قيظٍ شديدٍ وعُسرةٍ ظاهرة، فتخلف عنها كعب بن مالك دون عذرٍ حقيقي، مع قدرته التامة على الخروج. ولما عاد النبي ﷺ من الغزوة، أقبل عليه المتخلفون يتدافعون بالأعذار الكاذبة، فقبل ﷺ علانيتهم وردّ سرائرهم إلى الله.

أما كعب، فوقف بين يدي النبي ﷺ وحيداً بين كل تلك الأعذار المتهافنة، لا يحمل معه إلا كلمةً واحدةً لم يُزيّنْها ولم يُلطّفْها: والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

يروى كعب نفسه، فيما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين: «فلما سلّمت على رسول الله ﷺ تبسّم تبسّم المغضب، ثم قال: تعال... فقلت: يا رسول الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أني سأخرج من سخطه بعذر... ولكني والله لقد علمتُ لئن حدّثْتُك اليوم حديثَ كذبٍ ترَضِي به عني لبوَشَكَنَّ الله أن يُسَخِّطَكَ عليّ، وإن حدّثْتُك حديثَ صدقٍ تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عُقْبَى الله، والله ما كان لي عذر».

أمر النبي ﷺ المسلمين بمقاطعة كعب وصاحبيه خمسين ليلة، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت. ثم نزل القرآن يبشّره بتوبةٍ من فوق سبع سموات:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ  
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ  
لِيتُوبُوا﴾

(التوبة: 118)

وكان كعبٌ يقول بعدها: ما أنعم الله عليّ بنعمةٍ قط، بعد أن هداني للإسلام، أعظمَ  
في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ يومئذٍ.

#### ◆ وقفة تأمل

فانظر كيف يبدو الصدق في عين الحساب الدنيوي خساراً صرفاً حين تكون  
كلفته فورية وثمنه مؤجل، وهو في ميزان الله استثماراً لا يُخيب. فمن صدق  
حين يصعب الصدق، وجد أن الله لا يترك عبده في ضيقه إذا كان الضيق  
ثمن أمانته.

# صدقُ العهد قبل أن يُختبر

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه — بيعة العقبة الثانية

التقى النبي ﷺ سراً بنفرٍ من الأنصار عند العقبة في مِنى، يريدون مبايعته على الإسلام ونصرته إذا هاجر إليهم. ولما تمَّ الاتفاق على المبايعة، وقف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فاشتراط على قومه قبل أن يبايعوا شرطاً لم يطلبه النبي ﷺ نفسه.

قال عبد الله بن رواحة لقومه: يا معشر الخزرج، أتدرون علامَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم ومصيبتكم أشرافكم أسلمتموه، فمن الآن فدعوه، فهو والله إن فعلتم ذلكم خزيٌّ في الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما تدعونه نفذوه، فهو خيرُ الدنيا والآخرة.

فقال القوم: خذه لنا يا عبد الله. فأخذوا بيده وبايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أن يقولوا بالحق أينما كانوا، لا يخافون في الله لومة لائم.

سيرة ابن هشام، ومسند الإمام أحمد بأسانيد متعددة في قصة العقبة الثانية.

لم يكتفِ ابن رَوَاحَة بأن يصدّق النبي ﷺ حين بايعه، بل أراد أن يُسمع قومه ثمن العهد كاملاً بحروفه قبل أن يعضوا فيه. وقد وفى هو نفسه بهذا العهد حتى استشهد في غزوة مؤتة.

### ◆ وقفة تأمل

صدّق العهد الحقيقي لا يكون في لحظة الحماسة، بل في وضوح الثمن قبل الالتزام. من صدّق نفسه في تقدير الثمن قبل الالتزام، كان أوفى الناس بعهده حين يُختبر؛ فالوفاء ثمرة صدقٍ سابق، لا مفاجأة تُكتشف عند الأزمة.

مواقف الرجال · الفصل الثالث: الصدق



# أفلح إن صدق

حديث الأعرابي رضي الله عنه — صدق النية والعزم

جاء رجلٌ من أهل البادية إلى رسول الله ﷺ يسأل عن فرائض الإسلام، فأخبره النبي ﷺ بالصلوات الخمس، فقال الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطّوع. ثم أخبره بصوم رمضان، فسأله السؤال نفسه، فأجابه النبي ﷺ الجواب نفسه، ثم ذكر له الزكاة، فتكرر المشهد للمرة الثالثة.

فأدبر الرجل وهو يقول: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص». فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق» — وفي رواية: «أفلح الرجل إن صدق، دخل الجنة إن صدق».

متفق عليه: صحيح البخاري (كتاب الإيمان) وصحيح مسلم (كتاب الإيمان).  
لم يطلق النبي ﷺ الشهادة بفلاح الرجل جزماً، بل علّقها بحرفٍ واحد صغير الحجم ثقيل الميزان: «إن». فليس المطلوب أن يعلن المرء التزامه بالحد الأدنى من الدين على لسانه، بل أن يكون صادقاً في نيّته حين يُقدم على هذا الالتزام.

## ◆ وقفة تأمل

أدقّ درجات الصدق هي صدق النية فيما بين العبد وربّه، حيث لا رقيب من الناس ولا شاهد إلا الله. والفلاح، كما تنطق به الكلمة النبوية الموزونة،

ليس في كثرة الأقوال، بل في أن يطابق فعل المراء ما التزم به، ولو كان  
التزامه أقلّ الواجب.

مواقف الرجال · الفصل الثالث: الصدق

# صدق لم يمنعه ثمنه الفادح

ماعر بن مالك رضي الله عنه - الصدق طلباً للطهارة

جاء ماعر بن مالك الأسلمي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، طهرني. فردّه النبي ﷺ مراراً فتحأله باب الانصراف بستره مصوناً. ولما جاءه في الرابعة وأصرّ إصرار من قطع طريق العودة على نفسه، تحقق النبي ﷺ من حاله أولاً، فلها أقرّ ماعر بذنبه إقراراً لا يحتمل تأويلاً أربع مرات متتاليات، أمر النبي ﷺ بإقامة الحد عليه.

ولما نفذ الحكم، سمع النبي ﷺ رجلين يتحدثان بما يسيء إلى ماعر، فمرّ بجيفة حمار، فقال: «أين فلان وفلان؟... فما نلتما من عرض أخيكما أنفاً أشدّ من أكلٍ منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها».

صحيح مسلم (كتاب الحدود، حديث ماعر بن مالك) بألفاظ متقاربة.

لم يكن على ماعر شاهد ولا بينة تلزمه بالإقرار، لكنه اختار الصدق مع نفسه أولاً، فطلب التطهر ولو كان ثمنه حياته.

## ♦ وقفة تأمل

صدق ماعر هنا ليس دعوةً للمجاهرة بالذنوب، فالستر على النفس أصل شرعي. لكنّ القصة تكشف أن الصدق مع النفس - حين يُراد به التوبة

الخالصة لا التبرير - أثقل من أن يُقاس بثمنه الظاهر.

مواقف الرجال · الفصل الثالث: الصدق

# الصدق في المعاملة، ولو كان في الاعتراف بالضعف

حِبَّانُ بْنُ مَنْقَذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — «لَا خِلَابَةَ»

كَانَ حِبَّانُ بْنُ مَنْقَذٍ الْأَنْصَارِيُّ رَجُلًا بَسِيطَ الْفِطْنَةِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَكَانَ التَّجَارُ يَخْدَعُونَهُ فِي صَفَقَاتِهِ مَرَارًا. جَاءَ أَهْلُهُ يَشْتَكُونَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَدْعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْطَاهُ حَلًّا أَذْكَى مِنَ الْحَجَرِ: "إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ".

فَكَانَ حِبَّانُ لَا يَبَايِعُ أَحَدًا إِلَّا قَالَ: «لَا خِلَابَةَ»، صَادِقًا فِي اشْتِرَاطِهِ لَا مَخَادَعًا بِهِ، مُعَلِّنًا ضَعْفَهُ فِي مُوَاجَهَةِ أَهْلِ الدَّهَاءِ.

صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب البيوع، حديث الخيار لمن خُدع في البيع).

لم يكن هذا الصحابي مضطراً لإعلان ضعفه على الملأ، لكنه اختار الصدق مع نفسه ومع الناس في وصف حاله كما هي، فمنحه هذا الصدق حماية شرعية دائمة.

◆ وقفة تأمل

من صور الصدق التي يغفل عنها كثيرون: الصدق مع النفس في الإقرار بالضعف والقصور، لا في التظاهر بالكفاءة التي لا تملكها. من أعلن حدود قدرته بصدق، وجد من يُعينه ويحميه.

مواقف الرجال · الفصل الثالث: الصدق

# صدق القلب حين يُكره اللسان

عمار بن ياسر رضي الله عنه - الصدق الذي لا تتقضه كلمة منتزعة بالتعذيب

أخذ عمار بن ياسر يوماً من أيام مكة الأولى وعُذِّبَ تعذيباً شديداً حتى أوشك أن يفقد وعيه، فألحَّ عليه معذِّبوه أن يقول كلمةً تُرضيهم في الظاهر ليتوقف العذاب، فقال بلسانه ما أرادوا وقلبه ينكر كل حرفٍ نطق به، ثم أطلق سراحه وهو منهارٌ من الألم والحزن على ما بدر منه.

فأتى النبي ﷺ باكيًا، فقال له النبي ﷺ: «ما وراءك؟» قال: شرُّ يا رسول الله، ما تركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آهتهم بخير. فقال النبي ﷺ: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان. فقال النبي ﷺ: «إن عادوا فعد». ونزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: 106) يُبرِّئ عماراً مما نطق به لسانه مكرهاً.

أخرجه الحاكم في المستدرک وابن جریر الطبری في تفسيره عند الآية 106 من سورة النحل، بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

لم يكن صدق عمار في هذا الموقف صدق اللسان، بل صدق القلب الذي لم يتزحزح عن إيمانه رغم أن جسده انهار تحت وطأة العذاب، فجعل الله معيار الصدق هنا ما استقر في القلب لا ما انتزع من اللسان قهراً.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الصدق الذي يزنه الله ليس دائماً هو الكلمة المنطوقة، بل ما استقر عليه القلب حين تُسلب الإرادة بالإكراه. عمار نطق بما لم يعتقدّه تحت تعذيب لا طاقة له بتحمّله، فما حاسبه الله على هذا اللفظ لأن قلبه ظل صادقاً مطمئناً بالإيمان. من ابتلي بموقفٍ يكره فيه على قولٍ لا يرضاه قلبه، فليعلم أن الله أرحم من أن يُحمّله وزر ما لم يصدر عن اختياره، وأن أصل الصدق الذي يُحاسب عليه العبد هو صدق القلب لا صدق الكلمة المنتزعة قسراً.



## الفصل الرابع

# اليقين وحسن الظن بالله



اليقين طمأنينة قلب لا تتزعزع مهما ضاقت الأسباب الظاهرة. قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

(الطلاق: 3)

سبعة مواقف من صحابةٍ لم يتزعزع يقينهم بالله في أحلك اللحظات.

## إن الله معنا

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - غار ثور

حين اختبأ النبي ﷺ وأبو بكر في غار ثور هارين من مطاردة قريش، وصل المشركون حتى وقفوا على فم الغار، وكان بإمكان أحدهم أن ينظر إلى قدميه فيرى الغار. فخاف أبو بكر على النبي ﷺ خوفاً شديداً وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا.

فقال له النبي ﷺ مطمئناً: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟». وقد وصف الله هذا الموقف في القرآن: ﴿ثَانِيَانِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار وتفسير سورة التوبة).

لم ينف النبي ﷺ خطر الموقف، بل رفع يقين أبي بكر إلى معية الله التي لا يحدّها قربٌ أو بعد، فسكن قلبه رغم أن الخطر لا يزال قائماً بالمنظور البشري.

### ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن اليقين لا يلغي الخوف الطبيعي، بل يمنحه سقفاً لا يتجاوزه. خوف أبي بكر كان على النبي ﷺ لا على نفسه، ويقينه لم يمنعه من الخوف بل هَوَّن عليه أثره. فالمعية الإلهية أكبر من كل ما تُدرّكه الأعين، ومن استحضرها في

أضيق اللحظات، وجد فيها من السكينة ما لا يجده في كل أسباب الأمن  
الظاهرة.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله

## يقينٌ بعد شكٍّ

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - صلح الحديبية

حين وقّع النبي ﷺ صلح الحديبية بشروطٍ بدت في ظاهرها مجحفة بحق المسلمين، اضطرب عمر بن الخطاب اضطراباً شديداً، وجاء إلى النبي ﷺ يسأله معترضاً: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ فعلامٌ نُعطي الدنية في ديننا؟

فقال له النبي ﷺ: «إني رسول الله، ولن يُضيعني الله أبداً». فلم يقتنع عمر تماماً، فذهب إلى أبي بكر يكرر عليه السؤال نفسه، فأجابه أبو بكر بيقينٍ راسخ: «إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، والله ناصر، فاستمسك بعرزهِ». فسكن قلب عمر، وقال بعد ذلك: فما زلتُ أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعتُ (في ذلك اليوم) مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً.

صحيح البخاري (كتاب الشروط، حديث صلح الحديبية).

لم يكن عمر منافقاً في شكه، بل كان يقيسه بمنطق الظاهر البشري، لكنه حين واجه يقين النبي ﷺ الراسخ، أدرك حدود حكمه المتعجل وندم عليه أشد الندم.

فاعلم أن حتى أصحاب اليقين قد تعتريهم لحظات اهتزاز أمام قراراتٍ تبدو غير مفهومة، لكن الفارق أن صاحب اليقين الحقيقي يعود سريعاً حين يتبين له الحق، ويحاسب نفسه على ما بدر منه، كما فعل عمر الذي حوّل ندمه إلى عبادةٍ متجددة؛ فليس العصمة من الشك، بل سرعة العودة منه، هي علامة القلب اليقظ.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله

# سوارى كسرى

سراقة بن مالك رضى الله عنه — مطاردة الهجرة

طمع سراقة بن مالك في جائزة قريش لمن يأتي بالنبي ﷺ حياً أو ميتاً، فتبع أثره وأبي بكر في طريق الهجرة حتى قارب الحاق بهما. فدعا النبي ﷺ عليه، فساخت قوائم فرسه في الأرض ثلاث مرات متتالية كلما اقترب، فأيقن سراقة أن هذا امرٌ من عند الله، فطلب الأمان.

فقال له النبي ﷺ رغم أنه كان لا يزال في أضعف حالاته مطارداً: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟» يعني ملك الفرس. فتعجب سراقة كيف يعده النبي ﷺ بسوارى إمبراطورية عظمى وهو هاربٌ لا يملك شيئاً. وقد تحقق هذا الوعد فعلاً بعد سنين حين فتحت بلاد فارس في خلافة عمر، وألبس سراقة سوارى كسرى بيده.

صحيح البخارى (كتاب المناقب، حديث هجرة النبي ﷺ ومطاردة سراقة).

لم يكن يقين النبي ﷺ بالنصر مرهوناً بضعف موقفه الآتي، بل كان يرى المستقبل بعين اليقين لا بعين الظاهر المحاصر.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن اليقين الصادق ينظر إلى موعود الله لا إلى ضيق الحال الراهنة. حين وعد النبي ﷺ سراقه بسواري كسرى وهو مطارد لا يملك قوت يومه، كان يُعلم أمته أن الأزمة الحاضرة مهما اشتدت لا تُلغي وعد الله بالتمكين؛ فمن نظر بعين اليقين، رأى في أحلك اللحظات بشار لا يراها أصحاب النظر القاصر.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله



# على أي جنبٍ كان لله مصرعي

خبيب بن عدي رضي الله عنه — لحظة الإعدام

وقع خبيب بن عدي أسيراً في يد مشركي مكة بعد غدر الرجيع، فقرروا صلبه وقتله في الحرم انتقاماً لقتلى بدر. وحين هَيَّأوه للصلب، طلب منهم أن يُمهّلوه ليصلي ركعتين قبل موته، فصلى ركعتين خفيفتين، وقال: لولا أن تظنوا أن ما بي جَزَعٌ من الموت لأُطلتُهما.

ثم قال أبياته المشهورة وهو مُقبلٌ على الموت: «ولستُ أبالي حين أُقتل مسلماً... على أي شِقِّ كان لله مصرعي، وذلك في ذات الإله وإن يشأ... يبارك على أوصال شلوٍ مُمزَّع». ثم سأله: أتحب أن محمداً مكانك وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ وأنا جالسٌ في أهلي!

صحيح البخاري (كتاب المغازي، حديث غزوة الرجيع وقصة خبيب بن عدي).

لم يكن يقين خبيب في نجاة نفسه، فقد علم أنه مقتولٌ لا محالة، بل كان يقينه في أن مصرعه في سبيل الله لا يضيع، وأن حبه للنبي ﷺ أعظم من حبه لحياته.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن أعلى درجات اليقين ألا يخشى المرء الموت نفسه، بل يخشى أن يُضَيَّع  
لخطته الأخيرة دون أن يستوفيها حقها من العبادة والثبات. خيب لم يطلب  
النجاة، بل طلب ركعتين، لأن يقينه بما بعد الموت كان أرسخ من تعلقه  
بالحياة؛ فمن استقر في قلبه ما عند الله، هان عليه كل ما دونه.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله

# احفظ الله يحفظك

عبد الله بن عباس رضي الله عنه — وصية النبي ﷺ له

كان عبد الله بن عباس غلاماً صغيراً حين ركب خلف النبي ﷺ يوماً، فأراد النبي ﷺ أن يُرْسَخَ في قلبه أصل اليقين قبل أن يكبر، فقال له كلمات صارت من أعظم ما يُروى في هذا الباب.

قال له النبي ﷺ: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وهو من أشهر أحاديث اليقين وحسن الظن بالله. حمل ابن عباس هذه الوصية طوال حياته، فما كان يخشى مخلوقاً ولا يرجو سواه، لأنه أدرك أن الأقدار قد فُرِغَ منها ولا يملك أحدٌ تبديلها.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن اليقين الحقيقي يُبنى منذ الصغر، فمن غُرس في قلبه أن النفع والضرر بيد الله وحده، تحرّر من عبودية الخوف من الناس ورجائهم. حين تحفظ

حدود الله، يحفظك الله في أشد المواقف ضيقاً؛ فهذه الكلمات الموجزة تختصر  
منهج حياةٍ كامل لمن عقلها وعمل بها.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله

## عبور فوق الماء يقيّن

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وجيشه — عبور دجلة

في فتح فارس، وصل جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص إلى نهر دجلة وقد فرّ الفرس إلى الضفة الأخرى بعد أن أغرقوا السفن خلفهم قطعاً للطريق على المسلمين، ظانين أن النهر سيمنعهم من متابعة الزحف. وقف الجيش أمام نهرٍ عظيم لا سفن لعبوره.

فقال سعد لجنده كلمةً حملت يقيناً عظيماً: الله أكبر، صدق الله وعده! ثم أمرهم بأن يقتحموا النهر بخيولهم متوكئين على الله، فدخل الجيش الماء وهو يقول: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، فعبر الجيش كله دون أن يفقد شيئاً يذكر من عتاده، حتى ذهل الفرس من الضفة الأخرى وهم يرون الخيول تسير على الماء وكأنها تمشي على الأرض.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ (تاريخ الطبري) في سياق فتوحات العراق وفارس، وقد رواها المؤرخون بأسانيد متعددة.

لم يكن عبور الجيش قائماً على معرفةٍ هندسيةٍ بمكان ضحل في النهر بقدر ما كان استجابة جماعية ليقين قائدهم بأن الله ناصرهم إن صدقوا التوكل عليه.

فاعلم أن اليقين الجماعي حين يقوده قائدٌ واثق بالله ينتقل عدواه إلى الجيش بأكمله. سعد لم يقتحم النهر تهوراً، بل استجابةً لثقة عميقة أن الأسباب الظاهرة ليست هي كل شيء، وأن الله قادر أن يفتح طريقاً حيث لا طريق؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل ليست كلمة تُقال، بل حالٌ يُعاش حين تضيق الحيلة.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله

# تَرْفِي بِدَيْنٍ لَا يَفِي بِهِ

جابر بن عبد الله رضي الله عنه — بركة وعد النبي ﷺ

توفي عبد الله والد جابر بن عبد الله وعليه دينٌ كبير ليهودي، ولم يكن عند جابر ما يكفي لسداده من محصول نخله. جاء جابر إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يشفع له عند الدائن لينظره، فمشى النبي ﷺ معه إلى حائط النخل، وطاف حوله، ودعا فيه، ثم قال لجابر: جُدْ (اقطع) ثمرك ووفِّ الدين.

جُدَّ جابر ثمره ووزنه، فوفِّ الدين كاملاً وبقي عنده من التمر مثل ما أوفاه تماماً، مع أن الحائط كله بثمره لم يكن كافياً في الأصل لسداد كل الدين وحده لولا بركة دعاء النبي ﷺ.

صحيح البخاري (كتاب الاستقراض، حديث دين والد جابر وبركة النخل).

لم يشكَّ جابر في وعد النبي ﷺ حين قال له "جُدْ ثمرك ووفِّ"، رغم أن الحساب الظاهر لا يسمح بذلك، ففضى ينفذ الأمر بيقينٍ كامل فتحققت البركة كما وعد.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أنه حين يأتي الوعد من مصدرٍ موثوق، فإن اليقين يقتضي المضي في تنفيذه ولو خالف الحساب الظاهر. جابر لم يُعد حساباته متشككاً، بل نفَّذ

الأمر كما هو، فرأى بركةً تفوق ما كان يتوقعه حساب الأرقام وحدها؛ فتلك  
سنة الله في عباده حين يصدقون التوكل: يفتح لهم من حيث لا يحتسبون.

مواقف الرجال · الفصل الرابع: اليقين وحسن الظن بالله



## الفصل الخامس

# التوكل على الله



التوكل اعتماد القلب على الله مع الأخذ التام بالأسباب، لا تركها.  
قال الله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

(آل عمران: 122)

سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته الذين جمعوا بين الأخذ بالأسباب  
واعتماد القلب على مسببها.

# تغدو نحاصاً وتروح بطاناً

النبي ﷺ - كما رواه عمر بن الخطاب

حفظ عمر بن الخطاب من النبي ﷺ حديثاً وضع فيه معياراً دقيقاً للتوكل، لا يعني به ترك السعي والعمل، بل اعتماد القلب على الله وسط هذا السعي. وضرب النبي ﷺ مثلاً من الطبيعة يعرفه كل من رأى الطير يخرج من عشه باحثاً عن رزقه.

قال النبي ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو نحاصاً (جائعة في الصباح) وتروح بطاناً (ممتلئة البطون في المساء)».

أخرجه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

لم يقل النبي ﷺ إن الطير يبقى في عشه منتظراً الرزق دون حركة، بل وصفه وهو يغدو ساعياً باحثاً، ومع ذلك ربط رزقه بتوكله لا بسعيه وحده، فجمع الحديث بين ضرورة الحركة والسعي وبين اعتماد القلب على الله في نتيجة هذا السعي.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن التوكل الحقيقي لا يعني الجلوس والانتظار، بل يعني الخروج والسعي بقلب لا يتعلق بالسبب نفسه بل بمسببه. الطير يغدو ولا يعلم أين يجد رزقه،

لكنه يغدو واثقاً لا قلقاً. من جمع بين حركة الجوارح وسكون القلب في التوكل، بلغ حقيقة هذا المقام العظيم.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله

# لو منعوني عناقاً لجاهدتهم عليها

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - حروب الردة

بعد وفاة النبي ﷺ، ارتدت قبائل عربية كثيرة عن الإسلام أو امتنعت عن أداء الزكاة، فأصبح المسلمون في موقفٍ بالغ الخطورة: خليفةٌ جديد لا خبرة له بعد في إدارة دولة، وأعداء من كل جانب. حتى إن بعض كبار الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب، أشاروا على أبي بكر بالترث والتفاوض مع مانعي الزكاة تجنباً لتفرقة قوة المسلمين في هذا الظرف العصيب.

فقال أبو بكر بعزمٍ لا يلين: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال... والله لو منعوني عناقاً (أنثى صغيرة من الماعز) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الزكاة، حديث قتال مانعي الزكاة).

لم يكن قرار أبي بكر مبنياً على حسابٍ عسكري يضمن النصر، بل على توكلٍ كامل على الله بأن الحق الذي يقاتل من أجله سينتصر ولو بدت موازين القوى في ظاهرها غير مواتية.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن التوكل الحقيقي يظهر أوضح ما يكون حين تبدو الحسابات الظاهرة غير مشجعة. أبو بكر لم يكابر برأيه لعناد، بل لأنه أدرك أن الثبات على الحق لا يُقاس بموازن القوة البشرية وحدها، بل بثقة أن الله ناصر من نصر دينه. من توكل حق التوكل، لم تُخفه كثرة الأعداء ولا قلة الناصرين.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله

# نفرّ من قدر الله إلى قدر الله

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - طاعون عمواس

خرج عمر بن الخطاب في رحلةٍ إلى الشام، فلما اقترب من سرغ بلغه أن طاعوناً عظيماً قد وقع في الشام (طاعون عمواس)، فجمع كبار الصحابة يستشيرهم: هل يدخل بالناس هذه الأرض الموبوءة أم يرجع عنها؟ فاختلفوا، حتى أشار عليه عبد الرحمن بن عوف بحديثٍ سمعه من النبي ﷺ عن اجتناب الأرض الموبوءة، فقرر عمر الرجوع.

فقال له أبو عبيدة بن الجراح مستنكراً: أتفرّ من قدر الله؟ فأجابه عمر بجواب يفصل تماماً بين التوكل الصحيح والتوكل الخاطئ: نعم، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله. أرايت لو كان لك إبلٌ فهبطت وادياً له عُدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيتَ الخصبة رعيته بقدر الله، وإن رعيتَ الجدبة رعيته بقدر الله؟

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الطب، حديث طاعون عمواس ورجوع عمر).

لم ير عمر في الاحتراز من الوباء مناقضةً للتوكل، بل رأى أن اتخاذ الأسباب المشروعة للوقاية جزءٌ من التوكل الصحيح، لا نقيضاً له، فالقدر يشمل الأخذ بالأسباب كما يشمل النتيجة.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر هذا التمييز الدقيق الذي وضعه عمر: التوكل لا يعني ترك الأسباب المشروعة بحجة الاعتماد على الله، فالفرار من الوباء نفسه قدرٌ من أقدار الله كما أن البقاء فيه قدر. من فهم أن اتخاذ الأسباب لا يتعارض مع التوكل، بل هو جزءٌ منه، فقد حصلَ فقهاً دقيقاً يقية الوقوع في التواكل المذموم باسم التوكل الممدوح.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله



# حسبنا الله ونعم الوكيل

صحابه النبي ﷺ يوم حراء الأسد

بعد معركة أحد وما أصاب المسلمين فيها من جراح وقتلى، بلغ النبي ﷺ أن قريشاً تفكر في العودة لاستئصال ما تبقى من المسلمين، فأمر النبي ﷺ من شهد أحد أن يخرجوا معه لملاحقة العدو رغم إعيائهم وجراحهم الطازجة، إظهاراً للقوة رغم الإنهاك الشديد.

ثم جاءهم رجلٌ يخوِّفهم بأن قريشاً قد جمعت جموعاً عظيمة لاستئصالهم، فما زادهم ذلك إلا يقيناً وثباتاً، كما وصف القرآن حالهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

صحيح البخاري (تفسير سورة آل عمران، حديث غزوة حراء الأسد)، والآيات في سورة آل عمران (173).

لم يكن هؤلاء الصحابة في وضعٍ يسمح لهم بالخوف، فأجسادهم مشحونة بالجراح، ومع ذلك حين سمعوا تهديداً بجمعٍ عظيمٍ لملاقاتهم، لم يتراجعوا، بل زادهم التهديد إيماناً وتوكلاً، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء.

فاعلم أن التوكل الصادق يزداد رسوخاً كلما اشتد التخويف، لا أن يذبل أمامه. هؤلاء الصحابة لم يكونوا في أفضل حالاتهم الجسدية، لكن قلوبهم كانت في أفضل حالاتها الإيمانية، فتحول التهديد نفسه إلى وقودٍ يزيدهم يقيناً. "حسبنا الله ونعم الوكيل" ليست كلمة استسلام، بل إعلان ثقةٍ يُقال في أحلك اللحظات.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله

## اعقلها وتوكل

رجلٌ من الصحابة رضي الله عنه - حديثٌ في التوازن بين السبب والتوكل

جاء رجلٌ من الأعراب إلى النبي ﷺ وهو يمتطي ناقته، فترك ناقته دون أن يعقلها (يربطها) قائلاً: أطلقها وأتوكل على الله. وكان يظن أن هذا هو معنى التوكل الحقيقي: ترك كل احتياطٍ اعتماداً كاملاً على الله. فصيح له النبي ﷺ هذا الفهم بكلمةٍ موجزةٍ أصبحت أصلاً في هذا الباب.

فقال له النبي ﷺ: «اعقلها وتوكل».

أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

لم يقل النبي ﷺ للرجل أن يترك ناقته طليقة اعتماداً على الله وحده، بل أمره أن يجمع بين الأمرين: أن يربط ناقته (وهو السبب المشروع المتاح له)، ثم يتوكل على الله في النتيجة، فلا يكون التوكل بديلاً عن السبب، بل مكملًا له.

### ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن هذا الحديث الموجز يختصر أدق موازين التوكل في كلمتين: اعقلها (خذ بالسبب)، وتوكل (اعتمد بقلبك على الله). من ترك السبب بحجة

التوكل، فقد أخطأ فهم الدين، ومن أخذ بالسبب واعتمد عليه وحده متناسياً  
الله، فقد أخطأ من الجهة الأخرى. التوازن بينهما هو التوكل الصحيح.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله

# بسم الله توكلت على الله

أم سلمة رضي الله عنها - دعاء الخروج من البيت

كانت أم سلمة رضي الله عنها حريصة على حفظ أدعية النبي ﷺ ونقلها للأمة، ومن أعظم ما حفظته دعاءً كان النبي ﷺ يقولها كلما خرج من بيته، ليستحضر معنى التوكل في أبسط لحظات الحياة اليومية، لا في الأزمات الكبرى وحدها.

كان النبي ﷺ إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، توكلتُ على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضلَّ أو أُضَلَّ، أو أزلَّ أو أُزَلَّ، أو أظلمَ أو أُظلمَ، أو أجهلَ أو يُجهَلَ عليَّ».

أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، رواه أم سلمة.

لم يكن التوكل عند النبي ﷺ حكراً على لحظات القرار المصيري، بل كان حاضراً في أبسط تفاصيل الحياة اليومية: خطوة خروجه من بيته، فربط هذه اللحظة العابرة بذكر يستحضر التوكل الكامل ويستعيد من كل أنواع الانحراف الممكنة.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن التوكل لا يُختزل في المواقف الكبرى، بل ينبغي أن يكون سجية حاضرة في كل خطوة، حتى خطوة الخروج من الباب. من اعتاد أن

يستحضر توكله في أبسط تفاصيل يومه، وجد أن هذا الاستحضار المتكرر يبني في قلبه رصيـداً من الثقة بالله يحضره وقت الشدائد الكبرى دون تكلف.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله

# لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون

عبد الله بن عباس رضي الله عنه — السبعون ألفاً

حدّث النبي ﷺ أصحابه يوماً عن أمِّ عُرْضَت عليه، فرأى نبياً معه رهطاً، ونبياً معه الرجل والرجلان، ونبياً ليس معه أحد، حتى رُفِعَ له سوادٌ عظيم ظنّه أمته، فقليل له: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ عظيمٌ آخر، فقليل له: هذه أمّتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب.

فسأل الصحابة عن صفة هؤلاء السبعين ألفاً، فقال النبي ﷺ: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم، من رواية عبد الله بن عباس.

لم يكن هذا التوكل الكامل مرتبطاً بكثرة العبادة الظاهرة وحدها، بل بحالةٍ قلبية متكاملة: تركٌ للاعتماد على الرُّقى غير المشروعة، ورفضٌ للتشاؤم من الطيرة، واعتمادٌ تام على الله وحده في كل الأمور.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبّر أن التوكل الكامل حالة قلبية شاملة تظهر آثارها في تفاصيل السلوك اليومي: كيف يتعامل المرء مع المرض، وكيف يتعامل مع القأل والتشاؤم،

وأين يضع اعتماده حين تُغلق الأبواب الظاهرة. من بلغ هذا المقام، استحق  
هذه المنزلة العظيمة التي بشر بها النبي ﷺ سبعين ألفاً من أمته.

مواقف الرجال · الفصل الخامس: التوكل على الله



## الفصل السادس

# الأمانة



الأمانة حفظ حقوق الناس وأموالهم ومسؤولياتهم كما لو كانت أعزّ ما يملك الحافظ نفسه. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

(النساء: 58)

سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في حفظ الأمانة، ولو كانت أمانة  
عدوٍّ أو مالاً عاماً لا يُحاسب عليه أحد.

# ردّ أمانات الأعداء ليلة الهروب منهم

النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه - ليلة الهجرة

كان النبي ﷺ معروفاً بين قومه بلقب "الأمين" قبل البعثة وبعدها، حتى إن مشركي مكة الذين حاربوه وآذوه وأخرجوه من داره، ظلوا يودعون عنده أماناتهم وأموالهم النفيسة ثقةً بأمانته رغم عدائهم لدينه. ولما أزلت ليلة الهجرة، وأحاطت سيوف قريش بداره تترصد لقتله، لم ينشغل النبي ﷺ بأمر نفسه فقط، بل تذكر تلك الأمانات التي لا تزال في عهده.

فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب أن يبقى في مكة بعده ليردّ إلى أصحابها كل ودعةٍ أودعوها عنده، رغم أن هؤلاء الأصحاب أنفسهم كانوا بين من يترصد بقتله تلك الليلة. فكث علي بعد هجرة النبي ﷺ أياماً حتى ردّ كل أمانة إلى صاحبها بعينها.

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام، ودلائل النبوة للبيهقي). لم يفرّق النبي ﷺ بين أمانة الصديق وأمانة العدو، فردّها جميعاً كاملة غير منقوصة، حتى في أشد اللحظات خطورةً على حياته، حين كان بإمكانه أن ينسى هذا الأمر الصغير مقابل شغله بالنجاة بنفسه.

فتدبر أن الأمانة الحقيقية لا تتأثر بموقف صاحبها منك، عدواً كان أم صديقاً.  
النبي ﷺ حمل أمانة من حاربوه وأخرجوه من داره كما لو كانت أمانة أعز  
أصحابه، فعلم أمته أن نقض العهد والأمانة ليس مباحاً حتى مع من ظلمك.  
من أراد أن يُعرف بصدق أمانته، فليحفظها حتى لمن أساء إليه.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة

# راتبُ لا يزيد على الكفاية

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - أمانته في المال العام

حين تولى أبو بكر الصديق الخلافة، ترك تجارته التي كان يعتاش منها لينشغل بأمور المسلمين، فقرر مجلس الصحابة أن يُفرض له راتبٌ من بيت المال يكفيه وأهله، فأخذ أبو بكر منه أقل القليل، حريصاً ألا يأخذ من المال العام إلا ما يسدّ حاجته الضرورية دون ترفٍ أو توسع.

ولما حضرته الوفاة، أوصى أن يُباع ما تبقى من ماله الخاص ويُردّ ما أخذه من بيت المال زائداً عن حاجته إلى خزينة المسلمين، فبيعت أرضٌ كانت له ورُدّ ثمنها لبيت المال، حتى قال عمر بن الخطاب حين رأى دقة حسابه: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ والسيرة (تاريخ الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير) في سياق وصية أبي بكر عند وفاته.

لم يكن أحدٌ يراقب أبا بكر في تفاصيل هذا الحساب، فهو الخليفة الذي بيده تصريف بيت المال كله، لكنه راقب نفسه بنفسه، وحاسبها حساباً دقيقاً كأنه يعلم أنه سيُسأل عن كل درهم أمام الله.

فاعلم أن أعلى درجات الأمانة أن يُحاسب المرء نفسه فيما لا يُحاسبه عليه أحد. أبو بكر لم يخف من رقيبٍ بشري، فهو صاحب السلطة العليا، لكنه خاف من رقيبٍ لا تخفى عليه خافية. من راقب نفسه في المال العام حين يغيب الحساب البشري، بلغ من الأمانة ما لا يبلغه من يتقي فقط أعين الناس.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة

# لو عثرت بغلةً في العراق

عمر بن الخطاب رضي الله عنه — خشيتته من مسؤولية الرعية كلها

كان عمر بن الخطاب يحمل همّ الأمة كلها على كتفيه وكأنه مسؤولٌ شخصياً عن كل تفصيلٍ فيها، حتى إنه كان يتفقد أحوال الطرق والجسور وسلامة القوافل في أقاصي الدولة، غير مكتفٍ بإدارة الشؤون الكبرى وحدها. وقد عبّر عن هذا الإحساس العميق بالمسؤولية بكلمةٍ صارت مثلاً يُستشهد به في باب أمانة الحاكم.

قال عمر رضي الله عنه فيما يروى عنه: والله لو عثرت بغلةً بالعراق لخشيت أن يسألني الله عنها: لم لم تُصلح لها الطريق يا عمر؟

هذا الأثر مشهورٌ في كتب الزهد والسياسة الشرعية، وقد أوردته جمعٌ من العلماء والمؤرخين في سياق وصف إحساس عمر العميق بالمسؤولية عن رعيته.

لم يكن عمر يتحدث عن مسؤوليةٍ إداريةٍ شكلية، بل عن إحساسٍ حقيقي بأن كل ضررٍ يقع على أضعف مخلوقٍ في دولته، ولو كان بهيمة عجماء لا تُحاسب ولا تُطالب، هو أمانةٌ في عنقه سيُسأل عنها أمام الله.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الأمانة الحقيقية للمسؤول لا تقف عند حدود ما يُطالب به الناس، بل تمتد إلى كل من ولّاه الله أمره، ولو كان بهيمة لا تشكي ولا تطالب. من

وسّع إحساسه بالمسؤولية إلى هذا الحد، ضاق عليه أن يقصّر في حق إنسانٍ  
يشتكي ويطالب. أمانة الحاكم تُقاس بحجم ما يحمله من همٍّ لا يلُزمه به أحد  
سوى ضميره.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة



# شمعة تطفأ عند الحديث الخاص

علي بن أبي طالب رضي الله عنه - الفصل بين مال العامة وشأن الخاصة

كان علي بن أبي طالب في خلافته يجلس ليلاً في بيت المال يراجع حسابات المسلمين على ضوء شمعةٍ من المال العام، فدخل عليه أخوه عقيل بن أبي طالب يزوره ليتحدث معه في شأنٍ خاص بأسرته، فما إن بدأ عقيل حديثه الشخصي حتى مدّ علي يده وأطفأ الشمعة العامة، ثم أمر بإحضار شمعةٍ من ماله الخاص.

فتعجب عقيل من هذا التصرف، فقال له علي: يا أخي، هذه شمعة بيت مال المسلمين، وضعت لتضيء لي وأنا أنظر في شؤونهم، فأما حديثك الخاص فلا يحل أن يستضيء عليه بمال ليس له فيه حق.

هذه القصة مشهورة في كتب الأخلاق والسياسة الشرعية، وتُروى بألفاظ متقاربة عن ورع علي في التمييز بين المال العام والخاص.

لم يكن الفرق بين الشمعتين يُذكر في قيمته المادية، فكلاهما شمعة، لكن علياً ميز بينهما تمييزاً دقيقاً لأن إحداها أمانةٌ للمسلمين لا يحل صرفها إلا فيما وضعت له، والأخرى ملكه الخاص يتصرف فيه كيف شاء.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن دقة الأمانة تظهر في أصغر التفاصيل لا في كبريات القضايا فقط.  
من ضبط استخدام شمعة لا تُساوي شيئاً، فمن باب أولى أن يضبط استخدام  
الأموال الكبرى. الورع الحقيقي لا يبدأ من القضايا الجسيمة، بل من التمييز  
الدقيق بين ما لك وما ليس لك ولو كان شيئاً يسيراً.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة

# حزنٌ على أمانةٍ سقطت في بئر

عثمان بن عفان رضي الله عنه - خاتم النبي ﷺ

كان النبي ﷺ قد اتخذ خاتماً يختم به كتبه إلى الملوك، ونُقش عليه "محمد رسول الله"، وظل هذا الخاتم يُتوارث بين الخلفاء الراشدين بعده، رمزاً لسلطة الخلافة وأمانتها، حتى وصل إلى عثمان بن عفان في خلافته. وفي أحد الأيام، بينما كان عثمان يتفقد بئر أريس بالمدينة، سقط الخاتم من يده في قاع البئر.

فحزن عثمان حزناً شديداً على فقدان هذه الأمانة النبوية، وأمر بنزع البئر بحثاً عنه، فبذل جهداً واستمر البحث ثلاثة أيام دون جدوى، فما وجدوا الخاتم رغم كل المحاولات.

الحادثة ثابتة بأصلها في صحيح البخاري (كتاب اللباس، حديث خاتم النبي ﷺ) وكتب التاريخ التي فصلت قصة سقوطه في عهد عثمان.

لم يكن حزن عثمان على قطعة معدنٍ بسيطة، بل على أمانةٍ رمزيةٍ توارثها الخلفاء من النبي ﷺ، فأدرك أن فقدان مثل هذه الأمانة، وإن لم يكن بيده تعمداً، مسؤوليةٌ يجب أن يأخذها مأخذ الجد.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن صاحب الأمانة الحقيقي يحزن على فقدانها ولو كان الفقد خارجاً عن إرادته، لأن إحساسه بثقلها لا يزول بمجرد زوال سببه. حزن عثمان على خاتم سقط بغير قصد يعلمنا أن من حمل أمانةً، حملها بكل جوارحه لا بيده وحدها، فإذا فقدوها ولو قهراً، شعر بوطأة هذا الفقد كأنه فرط فيها بنفسه.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة

# أمينُ هذه الأمة

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه - أمانته على الغنائم وأموال الجيوش

لقَّب النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح بـ "أمين هذه الأمة"، وهو لقبٌ لم يُطلقه على أحدٍ غيره بهذا اللفظ الجامع، فكان قائداً عاماً لجيوش الشام تمرّ من تحت يده غنائم عظيمة وأموال لا تُحصى من الفتوحات، ومع ذلك لم يُعرف عنه أنه أخذ من هذه الأموال درهماً واحداً يزيد على حقه المشروع.

قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

صحيح البخاري (مُكَّاب فضائل الصحابة، مناقب أبي عبيدة بن الجراح).

لم يكن هذا اللقب شرفاً لفظياً فقط، بل ترجمة عملية لسلوكٍ عاشه أبو عبيدة طوال قيادته للجيوش: توزيعٌ عادل للغنائم، وحسابٌ دقيق للأموال، وزهدٌ تام فيما تحت يده رغم قدرته على أخذ أضعاف ما أخذ دون أن يُحاسبه أحد.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن أصعب اختبارات الأمانة تكون حين يتصرف المرء في أموال ضخمة بلا رقيبٍ بشري يحصي عليه كل شيء. أبو عبيدة قاد جيوشاً واسعة وأموالاً هائلة، ومع ذلك بقي أميناً حتى نال هذا اللقب النبوي الفريد. من ثبتت

أمانته في القليل الذي يُراقَب، فليختبرها في الكثير الذي لا يُراقَب، فتلك هي الأمانة الحقيقية.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة

# أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك

أبو هريرة رضي الله عنه - حاملٌ حديثٍ جامع في الأمانة

حفظ أبو هريرة رضي الله عنه من أحاديث النبي ﷺ ما يُعدّ دستوراً كاملاً في باب المعاملات والأمانة، وكان من أعظم ما حفظه ونقله للأمة حديثٌ يضع قاعدةً لا تتغير مهما تغيّر حال الطرف الآخر من وفاءٍ أو غدر.

قال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

أخرجه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن.

لم يربط النبي ﷺ أداء الأمانة بأخلاق الطرف المقابل، فالمؤمن يؤدي الأمانة كاملة ولو كان صاحبها غادراً في تعامله، لأن الأمانة التزامٌ ذاتي لا يتوقف على سلوك الآخرين، بل على استقامة النفس نفسها.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبّر أن هذا الحديث يضع معياراً دقيقاً يفصل الأمانة عن مجرد المعاملة بالمثل: فأنت تؤدي الأمانة لأنها خلقت أنت، لا لأن صاحبها يستحقها بحسن معاملته.

من جعل أمانته مرهونةً بأمانة غيره، فلم يبلغ بعد حقيقة هذا الخلق، إذ الأمانة  
صفةٌ ثابتة في القلب لا تتقلب بتقلب الآخرين.

مواقف الرجال · الفصل السادس: الأمانة



## الفصل السابع

# برّ الوالدين<sup>س</sup>



قرن الله برّ الوالدين بتوحيده في غير موضع من كتابه، إعلاءً لشأنه بين  
الحقوق. قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(الإسراء: 23)

سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في برّ الوالدين، ولو اختلف الدين أو  
طال العمر أو تعارضت الرغبات.

# من أحق الناس بحسن صحابتي؟

النبى ﷺ - كما رواه أبو هريرة

جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ يسأله سؤالاً يشغل كل من أراد أن يرتب أولوياته في البرّ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ وكان يتوقع أن يذكر النبى ﷺ قائمةً متوازنة من الأقارب، لكن جواب النبى ﷺ جاء بترتيبٍ لم يتوقعه، مكرراً ثلاث مرات قبل أن يدخل اسماً آخر في القائمة.

قال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: «أبوك».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الأدب، حديث "من أحق الناس بحسن صحابتي"). لم يكرر النبى ﷺ اسم الأم ثلاث مرات عبثاً، بل أراد أن يرسخ في الأذهان أن حق الأم لا يُقارن بحق أي أحدٍ آخر، حتى الأب الذي لا يقلّ حقه إلا بمرتبة واحدة عن الأم.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن تكرر النبى ﷺ لاسم الأم ثلاث مرات ليس مجرد أسلوب بلاغي، بل تأكيدٌ على حقيقة أن تعب الحمل والولادة والرضاعة لا يدرك مقداره إلا

بهذا التكرار. من أراد أن يعرف ترتيب أولوياته في البرّ، فليبدأ من حيث بدأ  
النبي ﷺ: بالأم أولاً، ثم الأم، ثم الأم، ثم الأب.

مواقف الرجال · الفصل السابع: برّ الوالدين

# رفقُ بأبٍ أعمى يخطو نحو الإيمان

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - إسلام أبي خفافة

ظل أبو خفافة، والد أبي بكر الصديق، على شركه سنواتٍ طويلة بعد أن أسلم ابنه وأنفق ماله كله في نصرة الدعوة، حتى فتحت مكة وكبر سنّ أبي خفافة وعمي بصره. فلما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً، أراد أبو بكر أن يأتي بأبيه ليُسلم، فأخذ يقوده برفقٍ بالغ نحو النبي ﷺ.

فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً يقوده ابنه، قال: «هلاً تركت الشيخ في بيته حتى آتاه أنا فيه؟» فقال أبو بكر: هو أحق أن يمشي إليك يا رسول الله. فأجلسه النبي ﷺ بين يديه، ومسح على صدره، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم أبو خفافة، ورأى النبي ﷺ شبيه الأبيض فقال: «غيروا هذا الشيب».

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث إسلام أبي خفافة والد أبي بكر).  
لم يشعر أبو بكر بأي إحراج من إسلام أبيه المتأخر بعد كل تلك السنوات، بل قاده بيده الشريفة برفقٍ إلى النبي ﷺ، حريصاً على أن يتوجّ به بأبيه بأعظم هدية: هدايته إلى الإيمان.

فاعلم أن أعظم برِّ بالوالدين أن تسعى في هدايتهما لا في راحتهما الدنيوية وحدها. أبو بكر لم يكتفِ بالإففاق على أبيه طوال سنوات شركه، بل أراد أن يمنحه أعظم عطية في آخر أيامه: أن يلتقى الله مسلماً. من أراد برّاً كاملاً بوالديه، فليجعل هدايتهما أول همّه.

مواقف الرجال · الفصل السابع: برّ الوالدين

# لو أقسم على الله لأبره

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بحثه عن أويس القرني

أخبر النبي ﷺ أصحابه بأنه سيأتي من بعده رجلٌ من اليمن يُقال له أويس بن عامر، كان له والدَةٌ يربّيها برّاً عظيماً، وكان مرضٌ بجسده لا يُبرأ منه إلا موضع درهم، فدعا الله فأذهب عنه ما به إلا موضع الدرهم إبقاءً لأثر دعائه. ووصف النبي ﷺ لعمر وعلي علامتٍ يعرفانه بها إن لقياه، وأوصاهما أن يطلبها منه الاستغفار لهما إن وجداه.

قال النبي ﷺ: «خير التابعين رجلٌ يُقال له أويس، وله والدَةٌ، وكان به بياض، فروه فليستغفر لكم». فكان عمر بن الخطاب كل عام يسأل وفود اليمن القادمة للحج: هل فيكم أويس بن عامر؟ حتى وجده، فقال له: استغفر لي. فاستغفر له.

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث أويس القرني)، وهو من التابعين لم ير النبي ﷺ لأنشغاله ببرّ أمه، لكن الحديث نفسه رواه ودار حوله كبار الصحابة كعمر وعلي.

لم يمنع أويس رغبته العارمة في لقاء النبي ﷺ من البقاء عند أمه العجوز التي لا تجد من يرعاها سواه، فأثر برّها على شرف الصحبة نفسه، حتى نال بهذا الإيثار مكانةً وصفها النبي ﷺ بأنها خير التابعين.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن برّ الوالدين قد يستوجب التضحية بأعزّ الأمنيات، كما ضحّى أويس برغبته في رؤية النبي ﷺ إيثاراً لرعاية أمه. ومكانته عند الله لم تنقص بسبب هذا الإيثار، بل زادت حتى صار سيد التابعين. من قدّم برّ والديه على رغباته الخاصة، وجد أن الله يعوّضه مكانةً لا يبلغها من قدّم رغبته على برّهما.

مواقف الرجال • الفصل السابع: برّ الوالدين



# صلي أمك

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - برُّ تجاوز حدود الدين

قدمت أم أسماء بنت أبي بكر، وكانت لا تزال مشركة، إلى المدينة زائرةً ابنتها في زمن الهدنة بين المسلمين وقريش، فترددت أسماء في استقبالها والإحسان إليها، إذ كانت أمها لا تزال على شركها، فذهبت تسأل النبي ﷺ عن حكم صلتها وهي على غير دين الإسلام.

فسألت النبي ﷺ: يا رسول الله، إن أُمِّي قدمت عليّ وهي راغبة (أي في صليتي)، أفأصل أُمِّي؟ قال: «نعم، صلي أمك». فنزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ... أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (المتحنة: 8).

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الهبة، حديث صلة أسماء لأُمها المشركة).

لم يكن اختلاف الدين، في نظر الشريعة، مبرراً لقطع صلة الرحم بالوالدين ما لم يكن هناك قتالٌ أو عداءٌ صريح، فأمر النبي ﷺ أسماء بصلة أمها إحساناً وبراً، فأصل بذلك أن برَّ الوالدين حقٌّ إنساني يعلو فوق الخلاف العقدي في هذا الجانب.

فاعلم أن برّ الوالدين حقٌّ لا يسقط باختلاف الدين أو العقيدة، ما لم يكن هناك عداءٌ فعلي للإسلام. أسماء لم تُطالب بأن تُعادي أمها لاختلاف دينها، بل أُمرت بصلتها والإحسان إليها. من ظنّ أن اختلاف الرأي أو المعتقد مع أحد والديه يُبيح له قطيعتهما، فليتذكر هذا الموقف النبوي الواضح.

مواقف الرجال • الفصل السابع: برّ الوالدين

## هل جزيتها؟

عبد الله بن عمر رضي الله عنه - الرجل الذي حمل أمه للحج

رأى عبد الله بن عمر رجلاً من اليمن يطوف بالكعبة حاملاً أمه العجوز على ظهره، يدور بها حول البيت وهي عاجزة عن المشي، فسأله الرجل: يا ابن عمر، أتراني قد جزيتها؟ وكان يظن أن هذا الحمل الشاق قد أوفى حق أمه عليه كاملاً.

فقال له ابن عمر: لا، ولا بفرّة واحدة! ولكنك قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً.

أخرجه الإمام مالك في الموطأ، وهو من الآثار المشهورة في باب برّ الوالدين. لم يقل ابن عمر من قيمة عمل هذا الرجل العظيم، لكنه أراد أن يصحح مفهوماً خاطئاً قد يستقر في الأذهان: أن برّ الوالدين ليس ديناً يُسدّد فيراً منه، بل هو عطاء متصل لا يكفئ أدنى لحظة ألم عاشتها الأم في حملها ووضعها.

### ♦ وقفة تأمل

فتدبر أن برّ الوالدين ليس ديناً محدداً يُسدّد ثم يُطوى، بل هو رحلة لا تنتهي إلا بموتهما، بل تمتد حتى بعد موتهما بالدعاء وصلة أرحامهما. من ظنّ أنه قد

"أوفى" حق والديه بعملٍ واحدٍ عظيم، فليتذكر أن زفرة واحدة من زفرات الحمل تعدل أضعاف أي حملٍ يحمله الابن.

مواقف الرجال · الفصل السابع: برّ الوالدين

# الزم رجلها فثمّ الجنة

جاهمة رضي الله عنه - اختيار البرّ على الجهاد

جاء جاهمة إلى النبي ﷺ وقلبه مشتعلٌ بالحماسة، يريد الخروج مجاهداً في سبيل الله، وكان يظن أن هذه الرغبة الصادقة كافيةٌ وحدها ليؤذن له بالخروج فوراً. لكن النبي ﷺ سأله سؤالاً واحداً غير مسار قراره كله.

فقال: يا رسول الله، أردتُ الغزو، وقد جئتُ أستشيرك. فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم. قال: «فالزمها، فإن الجنة تحت رجلها».

أخرجه النسائي وابن ماجه بسند صحيحه غير واحد من أهل العلم. لم يمنع النبي ﷺ جاهمة عن الجهاد لعجزٍ فيه أو لعدم أهليته، بل أراد أن يُصحح له ترتيب الأولويات: فبينما الجهاد فرض كفاية قد يقوم به غيره، برّ الأم بالملازمة اليومية فرضٌ لا يقوم به عنه أحد.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن الحماسة للعبادات الكبرى الظاهرة قد تُنسي المرء أحياناً واجباً أقرب إليه وأوجب عليه. جاهمة أراد الجهاد البعيد، فذكره النبي ﷺ بجهدٍ أقرب لا

يقول عنه أجراء: ملازمة أمه وخدمتها. من أراد الجنة، فليبحث عنها أولاً تحت  
قدمي أمه قبل أن يبحث عنها في ساحات بعيدة.

مواقف الرجال · الفصل السابع: برّ الوالدين

# مئة نفسٍ ما تركتُ ديني

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - برَّ لم ينكسر أمام اختلاف الدين

حين أسلم سعد بن أبي وقاص، حاولت أمه أن تردّه عن دينه بأقصى ما تستطيعه أم من ضغط، فأقسمت ألا تأكل ولا تشرب حتى يردد عن دينه أو تموت، وامتنعت عن الطعام أياماً حتى أغمي عليها من الجوع أمام عيني ابنها الذي كان يحبها حباً عظيماً ويخشى عليها.

فقال سعد لأمه برفقٍ لم يفارقه رغم حزمه في أصل المسألة: يا أماه، والله لو كان لك مئة نفسٍ فخرجت نفساً نفساً ما تركتُ ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي. فلما رأت إصراره الذي لم يقترن بجفاءٍ ولا قطيعة، عادت إلى الطعام.

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، وسبب نزول آية لقمان 15).  
لم يقطع سعد برّه بأمه رغم اختلافها معه في أصل الدين، بل ظل يخاطبها بلفظ "يا أماه" الرقيق حتى وهو يرفض طلبها، فجمع بين الثبات على الحق وعدم الجفاء في المعاملة، وظل باراً بها في كل شؤون حياتها إلا في هذا الأصل الذي لا مساومة فيه.

فتدبر أن برّ الوالدين له حدودٌ لا يتجاوزها إلا أمرٌ واحد: أن يُطلب من الابن الشكر بالله. وحتى في هذا الرفض الحازم، بقي سعد رقيق الخطاب مع أمه، فلم يجعل من ثباته على دينه سبباً لجفائه في المعاملة. من فقه هذا التوازن، جمع بين طاعة الله وبرّ والديه دون أن يُضحّي بأحدهما للآخر.

مواقف الرجال • الفصل السابع: برّ الوالدين



## الفصل الثامن

# الرَّحْمَةُ



الرحمة صفةٌ يحبها الله ويُنزلها على عباده الراحمين، وقد وصف بها نبيه  
ﷺ إذ أرسله رحمةً للعالمين. قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء: 107)

سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته الذين حملوا هذه الرحمة في تعاملهم  
مع أضعف الناس وأقلهم حيلة.

# من لا يرحم لا يُرحم

النبي ﷺ والأقرع بن حابس - رحمةً استغريها فارس البادية

جاء الأقرع بن حابس، وهو من ساسة العرب المعدودين وسادة البادية، إلى النبي ﷺ فوجده يُقبّل حفيده الحسن، فتعجّب مما رأى، وقال بلهجة من لا يعرف هذا النوع من التعامل مع الأطفال: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت واحداً منهم! فردّ عليه النبي ﷺ رداً كشف عن أصل خطير في باب الرحمة لا يقتصر على الأبناء وحدهم.

فقال النبي ﷺ: «إنه من لا يرحم لا يُرحم». وفي رواية أخرى: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الأدب، حديث تقبيل النبي ﷺ للحسن).  
لم يستنكر النبي ﷺ قسوة الأقرع من موقع الاستعلاء، بل أخبره بحقيقة كونية: أن نصيب المرء من رحمة الله مرهونٌ بنصيب الآخرين من رحمته، فمن جفّ قلبه عن الرحمة، جفّت عنه رحمة السماء.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن قسوة القلب ليست فضيلةً ولا علامة رجولة كما يظن بعض الناس، بل هي حرمانٌ من أعظم نعمة. الرحمة سلسلةٌ متصلةٌ بين السماء والأرض، فمن قطعها من جهته، انقطعت عنه من الجهة الأخرى. ومن أراد رحمة الله، فليبدأ برحمة أضعف من حوله.

مواقف الرجال · الفصل الثامن: الرحمة

# لا تقتلوا وليداً ولا امرأة

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وصيته لجيش أسامة

حين أرسل أبو بكر الصديق جيش أسامة بن زيد إلى الشام في أول خلافته، خرج يودّع الجيش ماشياً بجانب أسامة الراكب، ثم ألقى وصيةً لم تكن تقتصر على أحكام القتال، بل حملت أخلاقيات الرحمة التي ينبغي ألا تغيب حتى في أشد الظروف قسوة: ظرف الحرب.

قال أبو بكر لقادة الجيش: لا تخونوا، ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا شيخاً كبيراً، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لما كلة، وسوف تمرّون بأقوامٍ فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له.

أخرجه الإمام مالك في الموطأ، وأورده الطبري وابن كثير في سياق حروب الردة وفتوح الشام. لم يكن أبو بكر يرى أن الحرب تُبيح كل شيء، بل رأى أن الرحمة يجب أن ترافق المسلمين حتى في ساحة القتال، فحُمي بوصيته هذه الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان والأشجار والحيوان، فيما لا يُقتل إلا من يُقاتل.

فاعلم أن الرحمة الحقيقية تُختبر في أصعب المواطن لا أيسرها. من السهل أن يكون المرء رحيماً في السلم، لكن الرحمة التي تصمد وسط ضجيج الحرب ولهيبتها هي الرحمة التي تستحق أن تُروى. أبو بكر لم ينسَ الرحمة وهو يُجهز جيشاً للقتال، فعلم أمته أن القوة والرحمة لا تتناقضان.

مواقف الرجال · الفصل الثامن: الرحمة

# زيادة في عطاء الرضع

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - رحمةٌ سمعها في جوف الليل

كان عمر بن الخطاب يخرج ليلاً يتفقد أحوال المسلمين، فسمع في إحدى جولاته صوت طفلٍ رضيعٍ يبكي بكاءً متقطعاً غريباً، فاقترب من الخيمة ليستمع، فسمع أمه تقول له: اصبر يا بني، فوالله ما أطعمك حتى يفرض لك أمير المؤمنين ما يفرض للرضع، وأعجلك عن الفطام كي يزيدوا عطاءك! فأدرك عمر أن نظام العطاء الذي وضعه، والذي كان يفرض للأطفال بحسب الفطام، قد دفع بعض الأمهات إلى تعجيل فطام أطفالهن قبل أوانه ليحصلن على العطاء المقرر لهم أبكر.

فبكى عمر رحمةً بهذا الرضيع، وصلى بالناس الفجر وهو بالكاد يستطيع أن يتم قراءته من شدة البكاء، ثم أمر مناديه أن ينادي في الناس: لا تعجلوا أولادكم عن الفطام، فإننا نفرض لكل مولودٍ في الإسلام حين يُولد.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ (تاريخ الطبري) في سياق سياسة عمر في تنظيم العطاء وبيت المال. لم يكتفِ عمر بالتأثر العابر، بل غير سياسة الدولة كاملةً بناءً على معاناة طفلٍ رضيعٍ واحد لم يكن يعرفه، لأنه رأى أن نظاماً يدفع الأمهات لتعجيل فطام أطفالهن ظلمٌ يستوجب الإصلاح الفوري.

فتدبر أن الرحمة الحقيقية عند القائد لا تتوقف عند الشعور، بل تمتد إلى تغيير الأنظمة التي تُنتج المعاناة. عمر لم يكتفِ بالبكاء على حال الطفل، بل أصلح جذر المشكلة بأمرٍ عام يشمل كل رُضع الأمة. من أراد أن يكون رحيماً حقاً، فليبحث عن أسباب المعاناة لا عن أعراضها فقط.

مواقف الرجال • الفصل الثامن: الرحمة



# يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ

علي وفاطمة والحسان رضي الله عنهم - إطعام الأسير والمسكين واليتيم

يذكر المفسرون في سياق تفسير سورة الإنسان أن بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما نذر صيام ثلاثة أيام شكراً لله على شفاء الحسن والحسين من مرضٍ أصابهما، فلما حان وقت الإفطار في اليوم الأول، جاء مسكينٌ يطرق الباب يطلب الطعام، فأثروه بطعامهم وباتوا على الجوع.

وفي اليوم الثاني جاء يَتِيمٌ يطلب الطعام، فأثروه أيضاً. وفي اليوم الثالث جاء أسيرٌ من أسرى المشركين يطلب الطعام، فأثروه هو الآخر، فباتوا الأيام الثلاثة على الجوع لم يذوقوا إلا الماء. فأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونََ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

أورد هذه القصة جمعٌ من المفسرين في سياق تفسير سورة الإنسان (الدهر)، وقد تكلم بعض المحققين في قوة إسنادها التفصيلي وإن كان معناها العام يوافق هدي أهل البيت في الإيثار والرحمة. لم يفرّقوا في رحمتهم بين مسكينٍ من المسلمين ويَتِيمٍ صغيرٍ وأسيرٍ من الأعداء، فامتدت رحمتهم لتشمل حتى من كان بالأمس عدواً في ساحة القتال، لأن الجوع لا يعرف صداقةً ولا عداوةً.

فاعلم أن الرحمة الكاملة لا تُتميّز بين مستحقّيها بحسب موقفهم منك، بل بحسب حاجتهم إليك. أن تُطعم الأسير كما تُطعم المسكين واليتيم، درسٌ في أن الرحمة صفةٌ تنبع من القلب لا تُقاس بحسابات العداوة والصداقة؛ فمن رحم عدوه المحتاج، فقد بلغ في الرحمة مبلغاً عظيماً.

مواقف الرجال · الفصل الثامن: الرحمة

# الله أقدر عليك منك على هذا الغلام

أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه - رحمةً استيقظت فجأة

كان أبو مسعود الأنصاري يضرب غلاماً له بالسوط تأديباً، وقد اشتد عليه في الضرب، فسمع من خلفه صوتاً يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود! وكرر ذلك، لكن أبا مسعود من شدة غضبه لم يميز الصوت في اللحظة الأولى، فاستمر في ضربه حتى اقترب الصوت فسمعه بوضوح.

فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ يقول: «اعلم أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام». فألقى أبو مسعود السوط من يده فوراً وقال: لا أضرب مملوكاً لي بعدها أبداً. فقال له النبي ﷺ: «أما لو لم تفعل، للفحتك النار» أو «لمستك النار».

صحيح مسلم (كتاب الأيمان، حديث أبي مسعود الأنصاري وعق غلامه).  
لم يكتفِ أبو مسعود بالتوقف عن الضرب، بل أعتق غلامه في تلك اللحظة فوراً، مدركاً أن السلطة التي يملكها على من دونه أمانة يُسأل عنها، لا حقاً مطلقاً يُمليه غضبه.

فتدبر أن أخطر لحظات فقدان الرحمة هي حين يملك المرء سلطةً على من هو أضعف منه: خادم، أو موظف، أو من في رعايته. تذكيرُ النبي ﷺ لأبي مسعود بأن الله أقدر عليه منه على غلامه، درسٌ لكل من بيده سلطة على غيره: أن يتذكر دائماً من هو الأقدر عليه هو نفسه.

مواقف الرجال · الفصل الثامن: الرحمة

## الراحمون يرحمهم الرحمن

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه - حاملُ حديث الرحمة العام

كان عبد الله بن عمرو بن العاص حريصاً على تقييد كل ما يسمعه من النبي ﷺ، حتى استأذنه في الكتابة فأذن له، فكان مما حفظه ونقله للأمة حديثٌ جامع في باب الرحمة، لا يخص فئة من الناس دون فئة، بل يمتد ليشمل كل من في الأرض من إنسانٍ وحيوانٍ.

قال النبي ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

أخرجه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. لم يُخصَّص هذا الحديث الرحمةً بجماعةٍ دون أخرى ولا بخلقٍ دون آخر، بل جعلها معياراً كونياً: من يرحم من في الأرض جميعاً، يرحمه من في السماء، وهذا الإطلاق يشمل الإنسان بكل أجناسه وأديانه، بل يشمل الحيوان الأعجم أيضاً.

### ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الرحمة في الإسلام لا تُحصر بحدود القرابة أو الدين أو حتى النوع، بل هي سنةٌ كونيةٌ شاملة: من رحم، رُحم. حرص عبد الله بن عمرو على تقييد

هذا الحديث بالكّابة يعلّنا أن المعاني العظيمة تستحق أن تُحفظ وتُنشر لا أن تُترك عرضة للنسيان.

مواقف الرجال · الفصل الثامن: الرحمة

# خبزُ أفضل من خبز الأسرى

أسرى بدر — رحمة الصحابة بمن كانوا بالأُمس أعداء

بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر، وقع عددٌ من مشركي مكة أسرى في يد المسلمين، وكان النبي ﷺ قد أوصى بالإحسان إليهم رغم أنهم بالأُمس القريب كانوا يقاتلون المسلمين ويستحلّون دماءهم. فامثل الصحابة لهذه الوصية امتثالاً تجاوز الحد الأدنى من حسن المعاملة.

يروى أبو عزيز بن عمير، وكان أسيراً يومئذٍ وأخوه مصعب بن عمير مسلماً، أن الصحابة كانوا يُقدّمون له الخبز الطيب ويكتفون هم بالتمر امتثالاً لوصية النبي ﷺ بالإحسان إلى الأسرى، حتى كان يستحي من ذلك ويردّ الخبز إلى صاحبه، فيأبى صاحبه إلا أن يُطعمه إياه.

أورد هذه الرواية ابن هشام في السيرة، وأشار إليها ابن كثير في البداية والنهاية في سياق أحداث غزوة بدر. لم ير الصحابة في الأسر مبرراً للانتقام أو سوء المعاملة، بل رأوا فيه فرصةً لإظهار رحمة الإسلام حتى مع من حاربهم بالأُمس، فكانت هذه المعاملة سبباً في دخول كثيرٍ من الأسرى الإسلام لاحقاً حين رأوا هذا التناقض بين ما اعتادوه من قسوة الحروب وما وجدوه من رحمة أسريهم.

فتدبر أن أعظم اختبارات الرحمة تكون مع من غلبناه لا مع من غلبنا.  
الصحابه كانوا قادرين على الانتقام من أسراهم، لكنهم اختاروا الرحمة، فكانت  
هذه الرحمة نفسها سبباً في هداية من قست قلوبهم من قبل. من رحم عدوه  
المهزوم، فقد انتصر انتصاراً أعمق من انتصار السيف.

مواقف الرجال • الفصل الثامن: الرحمة



## الفصل التاسع

# الحلم والعفو



الحلم ضبط النفس عند الغضب، والعفو ترك الانتصار للنفس رغم القدرة عليه. قال الله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

(الأعراف: 199)

سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في أرق معاني ضبط النفس  
والصفح عند المقدرة.

# اذهبوا فأنتم الطلقاء

النبي ﷺ - عفوه يوم فتح مكة

دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً بعد عشرين عاماً من الأذى والتعذيب والتشريد الذي لاقاه هو وأصحابه من أهلها، ودخلها وهو في قمة القوة والتمكين، يملك جيشاً لم تشهد مكة مثله، وأمامه أهلها الذين عذبوا بلائاً ومزّقوا جسد حمزة وطرده من دياره. وكانت اللحظة مهيأة لكل صور الانتقام المشروع في أعراف الحروب.

فوقف النبي ﷺ على باب الكعبة وقريش تحت قدميه ينتظرون مصيرهم، فقال: «ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم. فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، وأصل العفو العام يوم الفتح مشهورٌ متواتر المعنى في كتب المغازي.

لم يكن هذا العفو ضعفاً ولا عجزاً، فالنبي ﷺ كان في أوج قوته، بل كان قمة الحلم الذي يُقاس بمقدار القدرة على الانتقام لا بمقدار العجز عنه.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبر أن العفو الحقيقي لا يُقاس إلا عند القدرة التامة على الانتقام. من عفا وهو عاجز، لم يُختبر عفوه بعد، أما من عفا وهو قادراً أن يحو خصومه من

الوجود، فذلك هو العفو الذي يستحق أن يُروى. أعظم الفتوحات ما فُتحت  
بالعفو لا بالسيف وحده.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو

# حلم مع رجلٍ جذبته بردائه

النبي ﷺ - كما رواه أنس بن مالك

كان النبي ﷺ يمشي وعليه رداءٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجذبه بردائه جذبةً شديدة، حتى نظر أنس بن مالك إلى صفحة عنق النبي ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء الخشنة من شدة الجذب. لم يكن هذا الأعرابي يعرف أدب الخطاب مع النبي ﷺ، بل خاطبه بجفاءٍ لم يعتده أصحابه.

ثم قال الأعرابي بجفاء: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه النبي ﷺ فضحك، ثم أمر له بعتاء.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب اللباس، حديث جذب الأعرابي لرداء النبي ﷺ)، رواه أنس بن مالك.

لم يعاقب النبي ﷺ هذا الأعرابي على جفائه وسوء أدبه، بل قابل الأذى الجسدي المباشر والكلام الجاف بضحكةٍ وعطاء، مع أنه كان يملك من الهيبة والسلطان ما يجعل عقوبته أمراً هيناً.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الحلم الحقيقي يظهر في ردة الفعل الفورية قبل أن يُتاح للعقل وقتٌ للتفكير والتحكم. النبي ﷺ لم يحتج لحظة تفكيرٍ ليختار الحلم، بل كان الحلم

سجّيته الأولى التي تصدر بلا تكلف. من أراد أن يبلغ هذا المقام، فليبدأ بتمرين نفسه على ضبط ردة الفعل الأولى، فهي غالباً الأصدق تعبيراً عن حقيقة القلب.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو

# ألا تحب أن يغفر الله لك؟

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - عفوه عن مسطح بن أثاثه

كان مسطح بن أثاثه قريباً فقيراً لأبي بكر الصديق، ينفق عليه أبو بكر من ماله رحمةً به وصلةً لقرابته. فلما خاض مسطح فيمن خاض في حادثة الإفك التي اتهمت فيها عائشة رضي الله عنها زوراً وبهتاناً، حلف أبو بكر أن يقطع عنه النفقة غضباً منه لخوضه في عرض ابنته، وكان هذا الغضب مشروعاً تماماً في ظاهره.

فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ... وَلِيَعْنُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: 22). فلما سمع أبو بكر الآية، قال: بلى، والله إني أحب أن يغفر الله لي. ورجع فأعطى مسطحاً النفقة التي كان قد قطعها عنه.

صحيح البخاري وصحيح مسلم (حديث الإفك المطول، من رواية عائشة رضي الله عنها).  
لم يكن غضب أبي بكر ظهماً، بل كان حقاً مشروعاً يملكه على من أساء إلى عرض ابنته، ومع ذلك حين ذُكر بأن العفو أقرب إلى مغفرة الله، لم يتردد في التنازل عن حقه المشروع.

فتدبر أن أصعب أنواع العفو أن تعفو عن أساء إلى من تحب، لا عن أساء  
إليك أنت وحدك. أبو بكر لم يعف عن إساءة لنفسه، بل عن إساءة لابنته،  
وهذا أثقل على القلب من العفو الشخصي. ومع ذلك، حين قارن بين حقه في  
الغضب وحاجته إلى مغفرة الله، اختار ما يقربه من ربه.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو



# حِلْمٌ يُمْسِكُ يَدَ الْغَضَبِ

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - موقفه مع عيينة بن حصن

دخل عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب دون استئذانٍ لائق، فخطبه بجفاءٍ شديد وقال: هيه يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل! فغضب عمر غضباً شديداً حتى همَّ أن يُوقع به عقوبةً على هذا الجفاء الصريح أمام الملاء.

فقال له الحرُّ بن قيس، وهو رجلٌ من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.

صحيح البخاري (كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف).

لم يجادل عمر في تطبيق الآية على موقفه رغم أن الجفاء كان موجهاً إليه شخصياً، بل توقف فوراً عند حدود القرآن، فقلب غضبه إلى إعراضٍ سلمي عن جاهلٍ لم يحسن الخطاب.

فاعلم أن الحلم لا يعني غياب الغضب، بل يعني أن يقف الغضب عند حدود ما أمر الله به. عمر غضب كما يغضب أي إنسان يُهان أمام الملاء، لكنه كان "وقفاً عند كتاب الله" كما وصفه الرواة، فلم يتجاوز غضبه حدود الآية حين تُليت عليه. من ربط غضبه بحدود الشرع، ملك نفسه في أشد لحظات الاستفزاز.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو

# لن أكون أول من سفك دم المسلمين

عثمان بن عفان رضي الله عنه — حله أثناء الحصار

حين حاصر الثّوار بيت عثمان بن عفان في آخر أيام خلافته، جاءه بعض الصحابة يعرضون عليه أن يقاتلوا معه دفاعاً عنه، وكان يملك من الأنصار من يستطيع بهم أن يخوض قتالاً يحمي به نفسه، لكنه اختار طريقاً آخر حفاظاً على دماء المسلمين من أن تُراق فيما بينهم.

فقال عثمان لمن عرض عليه القتال: من كان يرى أن له عليّ طاعة، فإني أعزم عليه ألا يقاتل، وأغمدوا سيوفكم. وقال: والله لأن أُقتل مظلوماً خيراً من أن أُقتل مسلماً واحداً، ولا أكون أول من يفتح على هذه الأمة باب القتل فيما بينها.

الحادثة ثابتة بأصلها في كتب التاريخ (تاريخ الطبري) في سياق أحداث مقتل عثمان، وقد اتفق المؤرخون على امتناعه عن الإذن بالقتال دفاعاً عن نفسه.

لم يكن عثمان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه، بل كان يملك أعواناً مستعدين للقتال دونه، لكنه فضّل أن يتحمل هو وحده ثمن هذا الحلم، خشية أن تتحول المواجهة إلى فتنةٍ يقتل فيها المسلمون بعضهم بعضاً.

فتدبر أن أعلى درجات الحلم أن يتحمل المرء الأذى بنفسه ليحمي غيره من أذى أعظم. عثمان لم يعفُ عن خصومه بكلمة فحسب، بل عفا عنهم بتحمل ثمن هذا العفو في نفسه، رافضاً أن يكون سبباً في سفك دماء إخوانه المسلمين ولو كان الثمن حياته هو.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو

# عَفْوٌ يَمْنَعُ الْغَضَبَ مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى ظَلَمٍ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

يُروى عن علي بن أبي طالب أنه بارز رجلاً في إحدى المعارك، فلما تمكّن منه وأشرف على قتله، بصق الرجل في وجهه، فترك علي قتاله على الفور وابتعد عنه، فتعجّب الرجل من هذا التوقف المفاجئ في لحظةٍ كان القتل فيها مباحاً له شرعاً، فسأله عن السبب.

فقال علي: كنتُ أقاتلك لله، فلما بصقتَ في وجهي، خشيتُ أن يدخل في قتالي لك شيءٌ من نفسي وغيبي، فتركْتُ حتى يكون قتالي خالصاً لله لا لنفسِي.

هذه القصة مشهورة في كتب الأخلاق والرفائق، وقد اختلف الباحثون في قوة توثيقها التاريخي الدقيق، لكنها تحمل معنىً متوافقاً مع ما عُرف عن علي من ورع في تمييز الحق الشرعي عن حظ النفس. لم يخف علي على نفسه، بل خاف على خلوص نيته، فأثر أن يترك حقاً مباحاً له خشية أن يشوبه غضبٌ شخصي، وهذا من أدق أنواع الورع الذي يتجاوز مجرد ضبط الغضب إلى مراقبة أصل الدافع من ورائه.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن أرقى درجات الحلم ليست فقط في العفو عن الإساءة، بل في مراقبة النفس ألا تختلط دوافعها المشروعة بأهوائها الشخصية. من استطاع أن يميز بين حقه الشرعي وحظ نفسه في لحظة الغضب، بلغ من ضبط النفس ما لا يبلغه من يكتفي بكبت غضبه الظاهر فقط.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو

## ندفع السيئة بالحسنة

الحسن بن علي رضي الله عنهما

يُروى أن رجلاً أساء إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما إساءةً بالغة، شتمه وسبه أمام الناس بكلامٍ جارح، فلم يردّ عليه الحسن بمثل قوله، بل سكت حتى انتهى الرجل من إساءته، ثم التفت إليه بوجهٍ هادئ.

قال له الحسن: يا هذا، أظنك جائعاً فتشبع، أم عارياً فتكسى، أم محتاجاً فتُغنى؟ ثم أمر له بمالٍ كثير. فاستحيا الرجل استحياءً شديداً وقال: أشهد أنك من أهل بيت الرسالة والكرم، والله ما كان أبغض إليّ من وجهك، وما أحدٌ أحبّ إليّ منك الآن.

هذه القصة مشهورة في كتب الأخلاق والتراجم (كصفة الصفوة لابن الجوزي)، وتُروى بألفاظ متقاربة

عن حلم الحسن بن علي.

لم يردّ الحسن الإساءة بمثلها ولا حتى تجاهلها بصمتٍ بارد، بل قابلها بأعلى درجات الإحسان الفعلي، مطبّقاً معنى الآية القرآنية في دفع السيئة بالحسنة حتى يتحول العدو إلى وليٍّ حميم.

◆ وقفة تأمل

فتدبر قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34)، فهذا بالضبط ما فعله الحسن: لم يكتفِ بعدم الانتقام، بل قابل الإساءة بإحسانٍ يفوقها فتحول قلب المسيء من العداوة إلى المحبة. أعظم الانتصارات على الخصم أن تحوله إلى صديق، لا أن تُذله.

مواقف الرجال · الفصل التاسع: الحلم والعفو



## الفصل العاشر

# الغيرة على الدين والمحارم



الغيرة حميةٌ تحمي حرّمة الله وحرّمة الأهل من الانتهاك، وهي خلقٌ محمود إذا انضبط بميزان الشرع. قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري

ومسلم: «لا أحد أغير من الله». سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في  
هذه الحمية التي حفظت الأعراض والحرمان.

# والله أغير مني

النبي ﷺ وسعد بن عباد رضي الله عنه

قال سعد بن عباد يوماً، وهو يعبر عن غيـرته الشديدة على عرضه: والله لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصَفَح (أي بحده لا بجانبه)! فبلغ هذا الكلام النبي ﷺ، فأراد أن يضبط هذه الغيرة بميزان العدل، دون أن ينكر أصلها المشروع.

فقال النبي ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأننا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب اللعان، حديث غيرة سعد بن عباد).  
لم ينكر النبي ﷺ أصل الغيرة عند سعد، بل أقرها وزاد عليها بأن الله أشد غيرة من كل خلقه، وهذه الغيرة الإلهية هي التي دفعت إلى تحريم الفواحش كلها ظاهرها وباطنها، لكنه في الوقت نفسه أرشد إلى ضبط هذه الغيرة بموازين الشرع لا بردة الفعل الفورية غير المنضبطة.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الغيرة خلق فطري مشروع، لكنه يحتاج ضبطاً شرعياً كي لا يتحول إلى ظلم أو تسرع في الحكم على الأعراض. النبي ﷺ لم يطفئ غيرة سعد، بل ربطها بغيرة الله الأعظم التي شرعت حدوداً منضبطة لا فوضى فيها. من فهم أن غيرته يجب أن تسير في حدود الشرع، جمع بين حرارة الحمية وبرودة العدل.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم

# وافقتُ ربي في ثلاث

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - غيرته على أمهات المؤمنين

كان عمر بن الخطاب شديد الغيرة على حرمة بيت النبوة، فكان يرى أن أزواج النبي ﷺ ينبغي أن يُحتَظَنَ لهن بأعلى درجات الستر، فاقترح على النبي ﷺ أكثر من مرة أن يأمر أمهات المؤمنين بالاحتجاب عن أعين الناس صوناً لهن، لكن الوحي لم ينزل بذلك بعد.

قال عمر رضي الله عنه فيما رواه البخاري: قلتُ: يا رسول الله، لو حُجِبَت نساءك؟ فأنزل الله آية الحجاب. فكان عمر يقول: وافقتُ ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر.

صحيح البخاري (كتاب التفسير، حديث موافقات عمر).

لم تكن غيرة عمر مجرد شعورٍ عابر، بل تحولت إلى اقتراحٍ صريحٍ رفعه للنبي ﷺ أكثر من مرة، حتى وافق نزول الوحي رأيه الذي كان نابعاً من حرصه الشديد على صون حرمة بيوت النبوة.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن الغيرة الصادقة على حرمت الدين قد تكون سبباً في توفيق صاحبها لموافقة الحكمة الإلهية، كما وافق عمر ربه في هذه المسألة وغيرها. من كانت

غيرته خالصةً لحماية الحرمات لا لفرض هوى شخصي، وفقه الله في كثير من  
اجتهاداته، كما وفق عمر رضي الله عنه.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم

# غيرةُ لا تلين أمام مانعي حق الله

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - حروب الردة

حين ارتدّت طوائف من العرب بعد وفاة النبي ﷺ عن أحكام الدين، أو حاول بعضهم التفريق بين شعائره، اشتعلت في قلب أبي بكر الصديق غيرةٌ صادقة على حرّمت هذا الدين الذي رآه ينتهك أمام عينيه، فلم يقبل أيّ تهاونٍ أو مساومة في هذا الشأن مهما كانت الظروف حرجة.

قال أبو بكر بعزمٍ لا يلين حين نُوقش في التريث: والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة! فكانت هذه الغيرة على تكامل الدين وعدم تجزئته هي التي حفظت للأمة دينها كاملاً في أخطر منعطف مرّت به بعد وفاة النبي ﷺ.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الزكاة، حديث قتال مانعي الزكاة).

لم تكن غيرة أبي بكر انفعالاً عابراً، بل موقفاً محسوباً بدقة لحماية الدين من التجزئة، إذ أدرك أن قبول التهاون في جزءٍ منه اليوم سيفتح الباب لتهاونٍ أكبر غداً، فوقف بحزمٍ لا يعرف اللين أمام هذا الخطر.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الغيرة على الدين تعني أحياناً الوقوف الحازم أمام أول محاولة للتفريط فيه، ولو بدت صغيرة في ظاهرها. أبو بكر لم ينتظر حتى يتفاقم الخطر، بل

واجهه في مده. من غار على دينه حقاً، لم يقبل المساومة على أي جزء منه،  
مهما بدا هذا الجزء يسيراً في نظر المتساهلين.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم



# لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي

علي بن أبي طالب رضي الله عنه - غيرته على حرمت المسلمين

يوم أحد حين اشتد القتال وأحاط المشركون بالنبي ﷺ من كل جانب، كان علي بن أبي طالب من أشد المدافعين غيراً على حرمة النبي ﷺ وحرمت المسلمين، يذبّ عنهم بسيفه دون أن يتراجع، حتى شهد له الملاء الأعلى بهذه الغيرة الصادقة في أخرج لحظات المعركة.

يُروى أن جبريل عليه السلام نزل يقول للنبي ﷺ: إن هذه للهواسة من علي! فقال النبي ﷺ: «إنه مني وأنا منه». فقال جبريل: وأنا منك! ثم سُمع صوتٌ يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

أورد هذه الرواية جمعٌ من المؤرخين والمفسرين في سياق وصف بلاء علي يوم أحد، وقد تكلم بعض المحققين في قوة إسنادها التفصيلي وإن كان أصل شجاعة علي وغيرته يوم أحد ثابتاً في مصادر السيرة. لم تكن غيرة علي مقتصرة على الدفاع عن نفسه، بل امتدت لتشمل حماية النبي ﷺ وكل من حوله من المسلمين، فتحملت يده وحدها عبء صدِّ هجماتٍ متكررة من كل جانب، غيراً على حرمة الدين كله لا على شخصه فقط.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن أعلى درجات الغيرة أن تتجاوز حدود الذات إلى حماية الجماعة كلها. علي لم يقاتل ليحمي نفسه وحده، بل ليحمي دين الأمة وقائدها ورسالتها التي كانت مهددة في تلك اللحظة الحرجة. من اتسعت غيرته لتشمل حرمان الأمة كلها لا حدود ذاته الضيقة، بلغ من هذا الخلق مبلغاً عظيماً.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم

# لا يَمْنَعَنَّ رجلاً حياء الناس أن يسأل عما أشكل عليه

عويمر العجلاني رضي الله عنه - قصة اللعان

جاء عويمر العجلاني إلى عاصم بن عدي، وكان من سادات قومه، فسأله سؤالاً محرّجاً كان يشغل باله: أَرَأَيْتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً، أَيْقَتْلَهُ فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فذهب عاصم يسأل النبي ﷺ عن هذه المسألة الحساسة، فكره النبي ﷺ المسائل الافتراضية في هذا الباب، حتى جاء عويمر بنفسه بعدما وقعت له هذه الحادثة فعلاً.

فقال عويمر للنبي ﷺ: يا رسول الله، رجلٌ وجد مع امرأته رجلاً، أَيْقَتْلَهُ فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال النبي ﷺ: «قد أنزل فيك وفي صاحبك، فاذهب فأت بها». فتلاعنا بين يدي النبي ﷺ، ونزلت آيات اللعان في سورة النور تفصّل حكم هذه الحالة.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب اللعان، حديث نزول آية اللعان بسبب عويمر العجلاني). لم تدفع غيره عويمر إلى فعلٍ متهوّر خارج حدود الشرع، بل دفعته إلى السؤال أولاً عن الحكم الصحيح، فاستحق بذلك أن تنزل فيه آيات من القرآن تُبلى إلى قيام الساعة، تنظم هذا الجانب الحساس من حياة الناس بعدل وضبط.

فتدبر أن الغيرة الصحيحة تدفع صاحبها إلى السؤال عن الحكم الشرعي قبل  
الاندفاع بردة فعلٍ قد تُوقعه في ظلمٍ أو جريمة. عويمر لم يأخذ الأمر بيده رغم  
شدة غيخته، بل التزم بالطريق الشرعي حتى نزل الحكم الإلهي المنظم لهذه الحالة  
الحساسة. من ضبط غيخته بسؤال أهل العلم قبل الفعل، سلم من زلات كثيرة  
يقع فيها المندفعون.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم

# لا أحد أغير من الله

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

حفظ المغيرة بن شعبة من النبي ﷺ حديثاً يؤصل لمفهوم الغيرة من جذوره الإلهية، مبيّناً أن كل غيرة بشرية، مهما بلغت شدتها، تبقى ظلاً صغيراً من غيرة الله الحقيقية التي هي أصل تشريع الحدود وتحريم الفواحش.

قال النبي ﷺ فيما رواه المغيرة بن شعبة: «لا أحد أغير من الله، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب النكاح، حديث غيرة الله).

ربط النبي ﷺ في هذا الحديث الجامع ثلاث صفات إلهية بثلاثة آثار تشريعية: غيرة الله أنتجت تحريم الفواحش، ومحبته للمدحة أنتجت مدحه لنفسه في كتابه، ومحبته للعذر أنتجت إرسال الرسل منذرين ومبشرين قبل أن يُعذّب أحداً بغير حجة.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن كل غيرة محمودة في نفوس المؤمنين إنما هي انعكاسٌ لغيرة الله الأصلية على حرّماته. من أراد أن يضبط غيرته بميزانٍ صحيح، فليتذكر أن غيرته مهما

اشتدت تبقى دون غيره الله، وأن الله نفسه لم يُعاقب عباده إلا بعد أن أقام  
عليهم الحجة برسله، فليكن في غيرته عادلاً منصفاً كما كان ربه في غيرته.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم

## فردّ نكاحها

فتاة من الأنصار - غيرة النبي ﷺ على حق النساء في الرضا

جاءت فتاة من الأنصار إلى النبي ﷺ تشتكي أن أباه زوجها من ابن أخيه ليرفع بها حسنه (أي ليرفع بها منزلته أو يصلح بها شأن ابن أخيه) دون أن يستأذنها أو يأخذ رضاها في هذا الزواج، فجاءت تسأل النبي ﷺ عن حكم هذا العقد الذي تمّ دون موافقتها.

فلما سمع النبي ﷺ شكواها، جعل الأمر إليها كاملاً، تُقرّ النكاح إن شاءت أو تردّه، فقالت: قد أجزتُ ما صنع أبي، ولكن أردتُ أن أعلم أتعلم النساء أن للآباء من الأمر شيئاً (أي أنها إنما سألت لتبين للناس أن للمرأة حقاً في الرضا، لا لترفض نكاحها فعلاً).

أخرجته النسائي وابن ماجه بسند حسنه بعض أهل العلم.  
لم يتجاهل النبي ﷺ شكوى هذه الفتاة رغم أن العرف السائد آنذاك قد لا يعير رضا المرأة اهتماماً كافياً، بل غار على حقها في الموافقة الحرة، وأعطاهما الخيار الكامل في قرارها، مؤصلاً لحق النساء في الرضا عن أزواجهن.

فتدبر أن الغيرة على الدين تشمل الغيرة على حقوق المستضعفين الذين قد تُهضم حقوقهم باسم العُرف أو المصلحة الظاهرة. النبي ﷺ لم يتجاهل صوت هذه الفتاة، بل جعل قرارها بيدها كاملاً. من غار على حقوق الضعفاء في مجتمعه كما غار النبي ﷺ على حق هذه الفتاة، جمع بين الغيرة على الدين والغيرة على العدل معاً.

مواقف الرجال · الفصل العاشر: الغيرة على الدين والمحارم



الفصل الحادي عشر

## الفداء والتَّضَحِّيَّة



حين يُقدِّم المرء نفسه أو ماله أو أعزَّ ما يملك فداءً لدينه أو لنبيه أو لإخوانه، فذلك أعلى مراتب اليقين العملي؛ إذ لا يُقدِّم على الفداء إلا من استيقن أن ما عند الله خيرٌ وأبقى. قال الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾

(البقرة: 207)

في هذا الفصل سبعة مواقف من صحابة باعوا أنفسهم لله رخيصةً في  
سبيل غايةٍ أكبر منهم.

# نومٌ على الموت المحتمل

علي بن أبي طالب رضي الله عنه - ليلة الهجرة

أحاطت سيوف قريش بدار النبي ﷺ تلك الليلة من كل جانب، وقد أجمع أمرها على أن تُشرك في دمه قبائل مكة كلها فلا يُطالب بنو هاشم بثأرٍ من قبيلةٍ بعينها. وفي قلب هذا الحصار، لم يطلب النبي ﷺ من علي أن يقاتل ولا أن يهرب، بل طلب منه أمراً أثقل من الاثنين: أن ينام، ليُوهم المتربصين أن النائم في الفراش هو صاحب الدار نفسه، فيكسب بذلك الوقت الذي يحتاجه ليمضي إلى الغار سالماً.

ولو تأملت هذا التكليف لوجدت فيه امتحاناً عجباً: فالسيف يُواجهه بيقظة الجسد وشخذ الإرادة، أما النوم في مواجهة السيف فيحتاج يقظة القلب وحدها، إذ لا حركة فيه تُشغل الخوف عن صاحبه. فبات علي تلك الليلة على فراش الخطر مطمئناً القلب، هادئاً الأنفاس، وكأن السيوف المصلطة فوق رأسه لم تكن إلا نسائم لا تُقلق نائماً واثقاً بربه.

الحادثة ثابتة في كتب السيرة (سيرة ابن هشام، ودلائل النبوة للبيهقي)، وأشار إليها المفسرون عند تفسير الآية 207 من سورة البقرة.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الفداء الحقيقي لا يحتاج جمهوراً يشهده، فعليّ لم يفعل ما فعل أمام الناس ليُثني عليه أحد، بل في عتمة ليلٍ لا يعلم خباياه إلا الله. وثمة سرٌّ إيماني

في أن يكون الفداء بالنوم لا بالسيف: إذ يعلمنا هذا الموقف أن أعلى درجات التسليم ألا يبقى للنفس حراكٌ في وجه القدر إن كان هذا السكون هو ما يُرضي الله، وأن يهدأ القلب حين يهدأ الجسد ثقةً بأن الحارس الحقيقي ليس اليقظة، بل من لا ينام سبحانه.

مواقف الرجال · الفصل الحادي عشر: الفداء والتضحية

## يَدُ شُلَّتْ وَقَايَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه - يوم أحد

انكشف صفّ المسلمين يوم أحد بعد أن اخترق فرسان قريش الجبل من حيث لم يُحتسب، فنفرقّ الجمع الكبير في لحظةٍ واحدة، وبقي حول النبي ﷺ نفرٌ قليل يعدّون على أصابع اليد، بينما اندفع نحوه سيلٌ من الرماح والسهام كأنه يريد أن يحو في ضربةٍ واحدة ما بناه عشرون عاماً من الدعوة. وفي قلب هذا السيل، كان طلحة بن عبيد الله يتحول جسداً واحداً إلى درعٍ متحرك.

لم يكن طلحة يرمي ويحسب، بل كان يذبّ بيده كلما اتجه سهمٌ نحو صدر النبي ﷺ، حتى امتلأت كفه بالسهام واحداً تلو آخر، وشُلَّتْ أصابعها من كثرة ما تلقّته، فما استبدل الدرع الحي بغيره ولا تراجع خطوة.

قال النبي ﷺ فيما رواه الترمذي: «من سرّه أن ينظر إلى شهيدٍ يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله».

صحيح البخاري (كتاب المغازي) لأصل الحادثة، والترمذي بسند حسنّه أهل العلم للفظ الوارد. لم يكن طلحة يحسب في تلك اللحظة كم سهماً سيتلقى جسده، بل كان همه الوحيد ألا يصل سهمٌ إلى النبي ﷺ وهو حيٌّ يرى، فتحوّلت يده من أداة قتالٍ إلى أداة وقاية.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الفداء يُقاس بما يُقدَّم لا بما يُحسَب من عواقبه. طلحة لم يفدِ النبي ﷺ حساباً لعدد السهام، بل استسلاماً كاملاً للحظة التي تطلَّبت منه ذلك، وفي هذا الاستسلام نفسه عبادةٌ لا تقلُّ عن الصلاة. فحين يتعلق الأمر بحماية حقٍّ أكبر منا، فالحساب الدقيق للثمن هو أول ما يجب أن يغيب عن القلب، فما تردد قلبٌ محبٌ في لحظة الحاجة إلا خانه في اللحظة الفاصلة.

# مَنْ أُبْدِلَتْ يَدَاهُ بِجَنَاحَيْنِ

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه — غزوة مؤتة

حين قُتل قائد الجيش زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، أخذ جعفر بن أبي طالب الراية من يده سقطت، فقاتل حتى إذا أحس أن الفرس التي يمتطيها قد تُغريه يوماً بالفرار، عقرها بيده ونزل عنها، قاطعاً على نفسه كل طريقٍ للتراجع قبل أن يبدأ القتال الحاسم. ثبتت قدماه في أرض المعركة كما ثبتت شجرة عريقة لا تُزحزحها الريح، وقاتل حتى قُطعت يمينه، فحمل الراية بشماله، ففُتعت أيضاً، فاحتضنها بعضديه المبتورين حتى استشهد.

فأخبر النبي ﷺ أصحابه بمصرعه وهو في المدينة، فقال فيما رواه البخاري:  
«إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء».

صحيح البخاري (كتاب المغازي، حديث غزوة مؤتة).

لُقِّبَ من يومئذٍ بـ"جعفر الطيّار"، تكريماً لتضحية لم ينتخ بها إلا وجه الله، فعوضه الله عن اليدين اللتين فقدهما في سبيله بما لا تبلغه يد من طيران في جنّته.

◆ وقفة تأمل

فتأمل كيف أن عقر جعفر لفرسه كان قطعاً لطريق التراجع قبل أن يبدأ القتال، وفي هذا حكمةٌ ينبغي أن تُستحضر: أن أعظم التضحيات ما سُدت فيها أبواب الهروب مسبقاً، فلا يبقى أمام النفس إلا المضيّ في الطريق الذي اختارته بصدق. ومن أراد أن يبلغ يقين جعفر، فليبدأ حيث بدأ هو: بإغلاق باب الرجوع قبل أن يفتح باب البذل، فما دام باب الهروب مفتوحاً، بقيت النفس مترددة بين عزيمتين.

مواقف الرجال · الفصل الحادي عشر: الفداء والتضحية



# امضي يا رسول الله

سعد بن معاذ رضي الله عنه — ليلة بدر

قبيل غزوة بدر، استشار النبي ﷺ أصحابه في المضي للقتال، وكان يعلم أن المهاجرين سيوافقونه بلا تردد، لكنه كان يتطلّع في صمتٍ إلى موقف الأنصار الذين بايعوه في العقبة على حمايته داخل المدينة لا خارجها. فقام سعد بن معاذ سيد الأوس، وقد أدرك بفطنة القائد ما يقصده صمت النبي ﷺ، فلم ينتظر أن يُسأل صراحةً، بل بادر بكلمةٍ اختصرت ولاء أمةٍ بأكملها في جملٍ معدودة.

«فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد... فامض بنا على بركة الله».

الحادثة ثابتة بأصلها في سيرة ابن هشام، وأصل استشارة النبي ﷺ لأصحابه قبل بدر ثابت في صحيح مسلم. فُسِّرَ النبي ﷺ بهذا الكلام سروراً ظهر أثره على وجهه الشريف، ومضى الجيش إلى بدر وهو يحمل معه هذا الفداء الجماعي الذي بذله الأنصار بلا تردد قبل أن يُسألوا صراحةً.

◆ وقفة تأمل

فداء سعد لم يكن فداء نفسه وحده، بل فداء قومٍ بأكلهم تكلم باسمهم دون أن يستأذنهم، واثقاً أن كل واحد منهم سيصدق كلامه بفعله. حين يكون القائد صادق النية، يكفيه أن يتكلم عن جماعته بيقين، فالصدق يستولد الصدق، والثقة التي يمنحها القائد لأتباعه غالباً ما تعود إليه مضاعفة يوم الاختبار.

مواقف الرجال · الفصل الحادي عشر: الفداء والتضحية

# اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء

أنس بن النضر رضي الله عنه - يوم أحد

فاتت أنس بن النضر غزوة بدر، فحمل في صدره حزناً لم يُخفّفه مرور الأيام، وقال قولاً يشبه النذر: أول مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ غِبْتُ عنه! لئن أشهدني الله قتلاً مع رسوله ليرين الله ما أصنع. وظلت هذه الكلمة تنتظر يومها المؤجل، حتى كان يوم أحد.

فلما انكشف بعض المسلمين وسرت شائعة مقتل النبي ﷺ في الصفوف، مرّ أنس بجميع من الصحابة جالسين قد ثقلت عليهم الصدمة، فقال بصوتٍ يحمل عتاباً أشد من السيف: «فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه». ثم استقبل القبلة بجسدٍ لم يعد يحسب لنفسه حساباً، وقال:

«اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء» يعني أصحابه، «وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء» يعني المشركين. ثم تقدّم فقاتل حتى قُتل، ووُجد في جسده بضْعٌ وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم.

صحيح البخاري (كتاب الجهاد) وصحيح مسلم (كتاب الإمارة).

لم تُعرف جثته إلا بأخته حين تفرّست فيه من بين قتلى كثيرين، فكأن جسده الذي لم يُعرف من كثرة جراحه، صار وحده شاهداً على وفاء نذرٍ قطعه على نفسه سنة

### ◆ وقفة تأمل

حين يفوت المرء موقفاً كان يتمنى أن يُبلى فيه بلاءً حسناً، فإن الفرصة الثانية قد تكون أعظم إن استقبلها بصدق العزم. حسرة أنس على بدرٍ فائته لم تُقَّعه، بل صيرت عزمه أشد؛ فالحسرة الصادقة، حين تُوجَّه وجهتها الصحيحة، تتحول إلى وقودٍ لا ينضب لبذلٍ مؤجل.

مواقف الرجال · الفصل الحادي عشر: الفداء والتضحية

## عرجاء طلبت الشهادة

عمرو بن الجموح رضي الله عنه - يوم أحد

كان عمرو بن الجموح شيخاً كبيراً شديد العرج، وكان الشرع يُسقط عنه فريضة الجهاد لعذره الظاهر الذي لا يحتاج تبريراً، وأراد بنوه أن يمنعه من الخروج يوم أحد شفقةً عليه. لكن عمرو لم ير في عذره الشرعي بوابةً للراحة، بل رأى فيه سؤالاً معلقاً لم يجب عنه بعد: هل يكفي أن أكون معذوراً، أم أريد أن أكون مأجوراً؟

فذهب إلى النبي ﷺ يسأله سؤالاً لم يعهده أحد ممن يبحثون عن رخصة القعود: يا رسول الله، إن بنيّ يمنعونني الخروج معك، وأيمُّ الله إني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة!

فقال له النبي ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله، فلا جهاد عليك». ثم قال لبنيه: «ما عليكم أن تدعوه، لعل الله يرزقه الشهادة». فخرج عمرو، وقاتل حتى استشهد، فوجده النبي ﷺ في القتلى وقال: «كأني أنظر إليك تمشي برحلك هذه في الجنة صحيحة».

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) وأخرج مسند أحد شطراً منها.

لم يقبل عمرو أن يكون عذره الشرعي سبباً في حرمانه مما يرجوه من الفداء، فحَوَّلَ عذره إلى دافع أقوى للبدل، فتمحقت أمنيته حرفياً حين وعده النبي ﷺ بأن يمشي

### ◆ وقفة تأمل

من الناس من يتخذ من عذره الحقيقي مبرراً للتقاعس عن كل شيء، ومن الناس من يجعل العذر نفسه وقوداً لهيمته. عمرو كان يملك أعذر الأعذار للتخلف، ومع ذلك اختار أثقل الطرق لأنه رأى فيها أقرب الطرق إلى الله؛ فالعذر الشرعي رخصة لا تلزم، لكنه ليس سقفاً يحبس همّة من أراد أن يتجاوزه.

## فداءً بالصفح لا بالسيف

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه - يوم أحد

في غمار معركة أحد واختلاط الصفوف حتى صار السيف لا يميّز بين صديقٍ وعدو في زحمة الغبار والصياح، أخطأ بعض المسلمين فقتلوا اليمان والد حذيفة بن اليمان ظانين أنه من المشركين، وكان حذيفة يصيح بهم من بعيد: أي! أي! فلم يسمعه من شدة المهرج حتى قضوا عليه أمام عينيه.

فلم يُظهر حذيفة على أبيه إلا الصبر، وقال: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين. وتصدّق بديّة أبيه على قاتليه من المسلمين، فزاده النبي ﷺ بذلك خيراً عنده.

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة (سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري)، وأشار البخاري إلى طرفٍ منها في كتاب المغازي.

لم يفد حذيفة يومئذٍ بماله أو بجسده، بل فدى وحدة صف المسلمين بأثمن ما يملك: حقّه الشخصي في القصاص من قتلة أبيه، تاركاً غضبه الطبيعي رحمةً بإخوانه الذين أخطأوا لا تعمّدوا.

◆ وقفة تأمل

ليس الفداء دائماً ببذل النفس في ساحة القتال، فقد يكون فداءً بالتنازل عن حق مشروع حفاظاً على ما هو أعظم منه: وحدة الصف وسلامة القلوب. أصعب أنواع التضحية أن يتنازل المرء عن حقه في اللحظة التي يكون فيها أشد ما يكون تعلقاً به، فحين يغلب الفداءُ الغضبَ المشروع، يبلغ القلب درجةً لا يبلغها كثيرٌ من أصحاب السيوف.

مواقف الرجال · الفصل الحادي عشر: الفداء والتضحية



الفصل الثاني عشر

# الصَّبْرُ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ



الصبر ثباتٌ على الحق وقت الألم، وامتناعٌ عن الجزع رغم مشروعية الشكوى. قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

(الزمر: 10)

سبعة مواقف من صحابةٍ ذاقوا أشد أنواع الابتلاء فما زادهم إلا تمسكاً  
بدينهم.

# أحد أحد

بلال بن رباح رضي الله عنه - تعذيب أمية بن خلف

كان بلال بن رباح عبداً حبشياً عند أمية بن خلف، فلما علم أمية بإسلامه، أخذ يعذّبه أشد العذاب ليرجع عن دينه: كان يُخرجه في الظهيرة إلى رمضاء مكة الحارقة، ويلقيه على ظهره، ويضع على صدره صخرة عظيمة لا يستطيع دفعها، ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتبعد اللات والعزى.

وكان بلال في تلك الحال لا يزيد على أن يقول: أحد أحد! معلناً وحدانية الله وسط أشد العذاب، غير مبالٍ بالصخرة الثقيلة ولا بحرّ الرمضاء، حتى اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه.

الحادثة ثابتة بأصلها في صحيح البخاري (كتاب المناقب) وكتب السيرة (سيرة ابن هشام) بتفاصيل متقاربة. لم يكن بكلمة "أحد" يشكو، بل كان يُذكر نفسه ومعذّبيه بحقيقة توحيد الله وسط محاولاتهم انتزاع إيمانه منه بالقوة.

## ♦ وقفة تأمل

فندبر أن الصبر الحقيقي حين يتحول الألم الجسدي إلى مناسبة لإعلان الإيمان لا للتراجع عنه. بلال حول لحظة ضعفه الظاهر إلى أعظم لحظات قوته

الداخلية، فصارت كلمته الوحيدة أشهر من كل عذاب أمية؛ فمن ثبت الله  
لسانه وقت البلاء، لم يعد للجسد سلطان على القلب.

مواقف الرجال · الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء

## موعدكم الجنة

آل ياسر رضي الله عنهم - أول شهداء الإسلام

كانت أسرة ياسر بن عامر من أشد من عُدب في بداية الإسلام: ياسر وزوجته سمية وابنه عمار، فكان مشركو قريش يُخرجونهم إلى الرمضاء ويعذبونهم صنوفاً من العذاب طلباً لارتدادهم. فكان النبي ﷺ يمر بهم وهم يُعذبون فلا يملك دفعاً عنهم في تلك المرحلة المبكرة، فيقول لهم مواسياً:

«صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة». فثبتوا على هذا الوعد حتى قُتلت سمية رضي الله عنها بطعنة في قلبها من أبي جهل، فكانت أول شهيدة في الإسلام، ولحقه ياسر شهيداً، وبقي عمار حتى نال شهادته لاحقاً في صفين.

أخرجه الحاكم في المستدرک وابن سعد في الطبقات، وأصل تعذيب آل ياسر ثابت في مصادر السيرة المعتبرة. لم يكن للنبي ﷺ في تلك المرحلة قوة تمنع عنهم العذاب، فكانت كلمته الوحيدة زاداً يُصبرهم على أقسى ألوان الأذى الجسدي والنفسي.

### ♦ وقفة تأمل

واعلم أن المرء قد لا يملك أن يرفع الابتلاء عن غيره، لكنه يملك أن يذكره بموعده مع الله. صبر آل ياسر لم يكن نتيجة غياب الألم، بل نتيجة يقين أن

الألم مؤقت وأن الجنة موعدٌ حق؛ فما أعظم كلمةً تحمل مثقال جبلٍ من العزاء  
في قلبٍ يُعَذَّب على الرمضاء.

مواقف الرجال · الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء

# هل يأتيكم من نصرٍ؟

خباب بن الأرت رضي الله عنه — تعذيبه بالنار المحمّاة

كان خباب بن الأرت من أوائل من أسلموا في مكة، وكان مشركو قريش يعدّونه بإحماء صفائح من حديد على النار ثم يضعونها على ظهره حتى تنطفئ حرارتها بشحم ظهره. جاء يوماً إلى النبي ﷺ وهو متكئ في ظل الكعبة، فقال: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟

فجلس النبي ﷺ محمراً وجهه وقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه... والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله... ولكنكم تستعجلون».

صحيح البخاري (كتاب المناقب، حديث خباب بن الأرت).

لم يرَ خباب متمدراً من العذاب بقدر ما كان متعجلاً للنصر، فعلّمه النبي ﷺ أن الصبر لا يعني انتفاء الرغبة في الفرج، بل يعني ألا يتقدم الاستعجال على الثقة بموعده الله.

فتدبر أن الصبر لا يمنع سؤال الله الفرج، لكنه يمنع اليأس من تأخره. النبي ﷺ لم يعلم خباباً على شكواه، بل بين له أن ما مضى من صبر الأمم قبله كان أشد، وأن العاقبة للصابرين مهما طال الطريق؛ فمن استعجل الفرج ولم يجده، فليعد النظر إلى صبر من سبقوه، فإن فيه سلوى لكل قلبٍ متعب.

مواقف الرجال • الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء



# انتزع الابن من حجرها

أم سلمة رضي الله عنها - فراقٌ قسري في الهجرة

حين عزم أبو سلمة على الهجرة بأهله إلى المدينة، خرج ومعه زوجته أم سلمة وابنه، فنعتهم قبيلة أم سلمة من الرحيل، ثم لما تمكن أبو سلمة من الخروج وحده تاركاً أهله، أخذ أهل أبي سلمة الطفل منها عنوة خشية أن يفتنها حبه عن قومها. فوجدت أم سلمة نفسها وحيدة، لا زوج معها ولا ولد، بين قومٍ منعوها الرحيل.

تقول أم سلمة رضي الله عنها في وصف تلك المدة: نخرجتُ كل يومٍ إلى الأبطح، فأجلس هناك أبكي حتى أمسي، سنةً أو قريباً منها، حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمي فرقٌ لحالي، فكلم قومي حتى سمحوا لي بالخروج، فاسترددت ابني ولحقتُ بزوجي في المدينة.

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) وأخرج البخاري طرفاً من قصة هجرتها. ظلت أم سلمة على مدى سنةٍ كاملة تفتقد زوجها وابنها معاً، لا تعلم متى ينتهي هذا الفراق، ومع ذلك لم تنزعزع عن عزمها على اللحاق بهما مهما طال الانتظار.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن صبر الفراق أشد من صبر الألم الجسدي أحياناً، لأنه يمتد بلا حدٍ زمني واضح. أم سلمة لم تعرف متى ستلتقي بأحبائها، لكنها لم تفقد الأمل ولا

العزم طوال تلك السنة القاسية؛ فبكاؤها اليومي في الأبطح لم يكن جزعاً، بل  
كان شكل صبرٍ يجدد نفسه كل صباح.

مواقف الرجال · الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء

# أم تضرب عن الطعام

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - ابتلاء الضغط الأسري

لما أسلم سعد بن أبي وقاص وكان باراً بأمه محباً لها، حاولت أمه أن تردّه عن دينه بكل وسيلة، حتى أقسمت ألا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بمحمد ﷺ أو تموت، وامتنعت عن الطعام أياماً حتى أغمي عليها من شدة الجوع والعطش أمام عيني ابنها.

فقال سعد لأمه، فيما رواه مسلم: يا أماه، والله لو كان لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء. فكلّي إن شئت أو لا تأكلي. فلما رأت إصراره، أكلت. ونزل في شأنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان: 15).

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، وسبب نزول آية لقمان)، وأصل القصة مذكور في كتب التفسير. لم يكن صبر سعد صبراً على الأذى الجسدي، بل على أصعب أنواع الضغط: أن يرى أمه تعذب نفسها أمامه ليرجع عن دينه، وهو يعلم أنه بارٌّ بها في كل شيء إلا في هذا.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبّر أن أصعب الابتلاءات ما يأتي من أقرب الناس، حين يتحول الحب إلى أداة ضغط. صبر سعد لم يكن قسوة على أمه، بل توازناً دقيقاً بين برّه بها

ورفضه أن يشتري رضاها بدينه؛ ومن ابْتُلِيَ بمثل هذا، فليعلم أن حدود البرّ  
تقف عند حدود التوحيد، لا تتجاوزها.

مواقف الرجال · الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء

## مُلْكٌ مُقَابِلُ كَلِمَةٍ

عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه — أسره عند الروم

وقع عبد الله بن حذافة السهمي أسيراً في يد ملك الروم، فحاول الملك أن يفتنه عن دينه بكل وسيلة، فعرض عليه أن يتنصر مقابل أن يشركه في ملكه ويؤوجه ابنته، فرفض عبد الله. فأمر الملك أن يلتقى في قِدرٍ من الزيت المغلي، فأحضر أسير آخر قبله وألقي فيه أمام عينيه ليرهبه، فبكى عبد الله عند ذلك.

فظن الملك أنه بكى خوفاً فاستراجع، فسأله عن سبب بكائه، فقال عبد الله: بكيْتُ لأن لي نفساً واحدة تُلقَى في هذا القِدر الآن، وتمنيتُ أن يكون لي بعدد شعر رأسي أنفُسٌ تُلقَى كلها في سبيل الله. فتعجب الملك من ثباته، ثم عرض عليه أن يُقبّل رأسه فقط مقابل أن يُطلق سراحه وسراح جميع أسرى المسلمين، فوافق عبد الله على ذلك لما فيه من مصلحة عامة للمسلمين لا مساس بأصل عقيدته.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ والتراجم (تاريخ دمشق لابن عساكر، والإصابة لابن حجر) بأسانيد متعددة. لما عاد إلى عمر بن الخطاب وأخبره الخبر، قال عمر: حقُّ على كل مسلم أن يُقبّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقبّل رأسه.

فاعلم أن الصبر أمام إغراء الملك أصعب أحياناً من الصبر أمام التهديد بالموت، لأن النفس تُخادع بحلم الدنيا الزائل. عبد الله لم يتزعزع أمام تهديد ولا أمام إغراء، وحفظ حدود ما يجوز التنازل عنه لمصلحة إخوانه مما لا يجوز المساس به أصلاً؛ فثباته أمام الوعيد كان امتحاناً واحداً، وثباته أمام الوعد كان امتحاناً آخر أشد، وقد نجح فيهما معاً.

مواقف الرجال • الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء

## نحسون ليلة من العزلة

كعب بن مالك رضي الله عنه - صبر المقاطعة الاجتماعية

بعد أن صدق كعب بن مالك النبي ﷺ في تخلفه عن غزوة تبوك، أمر النبي ﷺ المسلمين بمقاطعته وصاحبيه خمسين ليلة كاملة، فلم يكلّمه أحد من الناس، وتغيّرت له الأرض حتى لم يعرفها. كان يذهب إلى المسجد فيسلم على النبي ﷺ فلا يدرى أحرك شفتيه بالرد أم لا، وكان يمشي في الأسواق فلا يكلّمه أحد من قومه.

حتى إن ابن عمه الذي كان أحبّ الناس إليه لم يردّ عليه السلام حين سلّم عليه. فأرسل النبي ﷺ إلى نساء المتخلفين أن يعتزلن أزواجهن، فجاءت امرأة كعب تسأل: أستاذنك في خدمة زوجي؟ فقال النبي ﷺ: لا، ولكن لا يقربنك. فصبر كعب على هذا كله دون أن يشكو أو يتسخط، حتى نزل عليه الفرج من الله بعد خمسين ليلة كاملة.

صحيح البخاري وصحيح مسلم (حديث توبة كعب بن مالك المطوّل).  
لم يكن الابتلاء هنا جسدياً، بل عزلة نفسية كاملة من مجتمع كان هو جزءاً منه، ومع ذلك صبر كعب دون أن يغيّر موقفه أو يبحث عن مخرج بالكذب.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن عزلة الجماعة أحياناً أثقل من الألم الجسدي، لأن الإنسان مجبولٌ على الحاجة إلى من حوله. صبر كعب على هذه العزلة يعلمنا أن ثمن الصدق قد يطول، لكن من صبر عليه وجد أن الفرج يأتي في وقته لا قبله ولا بعده؛ فأنمسون ليلة التي بدت دهرًا في حسّه، لم تكن عند الله إلا مهلةً يسيرة قبل توبةٍ تُتلى إلى قيام الساعة.

مواقف الرجال • الفصل الثاني عشر: الصبر على الابتلاء



الفصل الثالث عشر

# الشجاعة والثبات



الشجاعة ليست غياب الخوف، بل ضبطه والمضيّ رغم وجوده. قال  
الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾

(فصلت: 30)

سبعة مواقف من صحابةٍ لم تُزلْهم الحرب ولا فقد ولا التهديد.

# من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - يوم وفاة النبي ﷺ

حين تُوفي النبي ﷺ، هالت الصدمة كبار الصحابة هولاً لم تعرفه المدينة من قبل، حتى وقف عمر بن الخطاب في الناس مهدداً من يقول إن محمداً مات، منكرًا الأمر إنكاراً شديداً، لا لأنه لم يفهم، بل لأن العقل حين يواجه ما لا يحتمله القلب، يرفضه أحياناً رفضاً كاملاً بدلاً عن مواجهته.

أما أبو بكر، فقد كان بعيداً عن المدينة حين وصله الخبر، فأسرع حتى دخل من منزله، وكشف عن وجه النبي ﷺ، وقبله، وودّعه وداعاً هادئاً لا يشبه فوضى الصدمة المحيطة به، ثم خرج إلى الناس بخطى ثابتة، حاملاً على كتفيه أمانة أمةٍ بأكلها في أخرج لحظاتها.

فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ حتى ختم الآية، فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر، فسقطوا يبكون.

صحيح البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومناقب أبي بكر).

في أعظم لحظة انهيارٍ عاطفي مرّت بها الأمة، كان أبو بكر الوحيد الذي جمع بين الحزن العميق والثبات العقلي، فأنقذ الأمة من صدمةٍ كادت تُذهلها عن حقيقة

دينها، فمزج بحكمته بين دمة القلب وثبات اللسان دون أن تطغى إحداها على الأخرى.

### ◆ وقفة تأمل

فتأمل أن أعظم الشجاعة أن يثبت المرء عقله وقت انفعال الجميع، لا أن يغيب عن الحزن، بل أن يوجهه التوجيه الصحيح. أبو بكر لم يكن أقل حباً للنبي ﷺ من عمر، لكنه كان أثبت قلباً وقت الصدمة الكبرى؛ فالشجاعة الحقيقية ليست انعدام التأثير، بل أن يبقى العقل قائداً حتى حين يضطرب القلب اضطراباً مشروعاً.

مواقف الرجال • الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات

# سيفٌ لم يهزم قط

خالد بن الوليد رضي الله عنه — غزوة مؤتة

لما استشهد قادة جيش مؤتة الثلاثة زيد وجعفر وابن رواحة تباعاً، وكل واحدٍ منهم كان يحمل الراية ليموت بها بعد صاحبه، أصبح الجيش المسلم بلا قائد أمام جيش يفوقه عدداً أضعافاً مضاعفة. في تلك اللحظة الحرجة، لم يكن المطلوب شجاعة الاندفاع، بل شجاعة من نوعٍ آخر أشد ندرة: شجاعة العقل البارد وسط حرارة المعركة.

أخذ خالد بن الوليد الراية، وأدرك بفراصة القائد المحنك أن استمرار القتال بهذا التفاوت هلاكٌ محقق للجيش كله، فأظهر ببراعته العسكرية للعدو أن نجدةً وصلت، وأدار انسحاباً منظماً حفظ به بقية الجيش من الفناء التام.

فلما بلغ النبي ﷺ خبر المعركة، قال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ عبد الله بن رواحة فأصيب... ثم أخذ سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم».

صحيح البخاري (كتاب المغازي، حديث غزوة مؤتة)، ومنه لُقّب خالد بـ"سيف الله".

شجاعة خالد هنا لم تكن في الاندفاع الأعمى الذي أودى بمن سبقوه، بل في ثباتٍ حكيم يعرف متى يواجه ومتى ينسحب دون أن يفرط في جيشه أو يجبن عن

### ◆ وقفة تأمل

واعلم أن الشجاعة الحقيقية تُقاس بالحكمة لا بالتهور. من يعرف متى يتراجع لينتقد من معه أشجع ممن يندفع دون حساب فيهلك نفسه ومن معه. الثبات في أحلك اللحظات يحتاج عقلاً بارداً بقدر ما يحتاج قلباً ثابتاً، وأصعب أنواع الشجاعة أن تُقاوم إغراء الاندفاع حين يكون الانسحاب هو الخيار الأصوب.

مواقف الرجال • الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات

# امرأة تحمي النبي بجسدها

أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها - يوم أحد

خرجت أم عمارة يوم أحد تحمل سقاءً لتسقي الجرحى، بدور بدا في ظاهره هامشياً على حافة المعركة لا في قلبها، فلما انكشف المسلمون وأحاط المشركون بالنبي ﷺ من كل جانب، تركت أم عمارة مهمتها الأولى في لحظة لم تستشر فيها أحداً، وأمسكت سيفاً وتترست بنفسها أمامه، تقاتل من يقترب منه دون أن تفكر في ضعف سلاحها أو قوة من تواجهه.

قال عنها النبي ﷺ فيما رواه أحمد وغيره: «ما التفت يمينا ولا شمالاً يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوني». وقد تلقت جروحاً بالغة، منها جرح عميق في عاتقها.

مسند الإمام أحمد، وأصل الحادثة ثابت في سيرة ابن هشام.

لم تكن أم عمارة مقاتلة أصلاً، ولا كانت تحمل سلاحاً حين خرجت من بيتها، لكنها حين وجدت نفسها بين النبي ﷺ والخطر، لم تردد في تحويل نفسها إلى درع، وكأن الفطرة الإيمانية استدعت في لحظة الخطر طاقة لم تكن تعرفها في نفسها من قبل.

فتدبر أن الشجاعة لا تنتظر الاستعداد الكامل ولا الدور المرسوم مسبقاً. حين تستدعي اللحظة موقفاً، فإن من يملك القلب الشجاع يتجاوز حدود دوره المعتاد بلا تردد. أم عمارة أثبتت أن الشجاعة صفة قلب لا صفة جسد، وأن أعظم البطولات قد تولد فجأة في نفوسٍ لم تكن تعلم أنها تحمل هذا القدر من القوة.

مواقف الرجال · الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات



## حواريّ النبي ﷺ

الزبير بن العوام رضي الله عنه — أول سيفٍ يُشهر في الإسلام

كان الزبير بن العوام فتىً صغير السن حين أسلم، فبينما هو في بعض شباب مكة، سمع صيحةً أن رسول الله ﷺ قد قُتل، فما تمالك نفسه، بل شهر سيفه وأقبل يعدو نحو مكة ليقاتل وحده من قتله، غير حاسبٍ لعدد من سيواجهه ولا لصغر سنه أمامهم، وكأن السؤال الوحيد الذي شغل ذهنه في تلك اللحظة كان: أين السيف؟ لا: كم عددهم؟

فلقية النبي ﷺ سالماً، فسأله عما يصنع، فأخبره الخبر، فدعا له النبي ﷺ بخير، وقال فيما رواه البخاري في مناقبه: «لكل نبيٍّ حواريٌّ، وحواريّ الزبير».

صحيح البخاري (كتاب المناقب، مناقب الزبير بن العوام).

ظلت هذه الشجاعة المبكرة سمة الزبير طوال حياته، فكان من أوائل من هاجروا وأول من سلّ سيفاً في سبيل الله، وشهد كل المشاهد مع النبي ﷺ، وكان ذلك الاندفاع الأول في شباب مكة كان بذرة شجاعةٍ ظلت تنمو معه حتى آخر أيامه.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن اندفاع الزبير في تلك اللحظة لم يكن تهوراً بلا غاية، بل استجابة قلب لا يحتمل أن يبقى النبي ﷺ في خطر وهو قادر على الدفاع عنه. الشجاعة الفطرية حين تُهذَّب بالإيمان تصبح طاقة حماية لا طاقة عبث، وحين يقترن الاندفاع بصدق النية، يبارك الله فيه ولو بدا في ظاهره تهوراً.

مواقف الرجال · الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات

# شيخ في ساحة الوغى

عمار بن ياسر رضي الله عنه — موقعة صفين

بلغ عمار بن ياسر من العمر عتياً، وكان قد شهد كل الفتن والحج منذ صدر الإسلام، من عذاب مكة الأول إلى فتوح العراق، حتى صار جسده نفسه سجلاً حياً لتاريخ الأمة كله. ومع ذلك حين وقعت موقعة صفين لم يتخلف عن ميدانها، بل كان يجول بين الصفوف يُثبت من معه، ويقاثل بشجاعة من هو في مقتبل العمر لا في أرذله.

وكان النبي ﷺ قد أخبر عنه من قبل بحديث صحيح: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، فلما استشهد عمار في صفين وهو في التسعين من عمره تقريباً، تحقق ما أخبر به النبي ﷺ.

صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الفتن، حديث "تقتل عماراً الفئة الباغية").

لم يمنع عمار كبر سنه ولا معرفته بمصيره من أن يخوض المعركة بنفس الثبات الذي عُرف به منذ عذبه المشركون في مكة، فبقي على العهد حتى آخر لحظة من حياته، وكأن العمر الطويل لم يكن إلا مساحةً لاختبار الثبات نفسه مراراً وتكراراً.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الشجاعة لا تنتقعد بتقدم العمر إن كانت متجذرة في القلب لا في قوة الجسد. من عاش عمراً كاملاً على المبدأ، لا يتراجع عنه في آخر يوم من حياته، ولو علم أنه ثمنٌ لحياته نفسها؛ فالشجاعة التي تُبنى على يقينٍ لا تشيخ مع صاحبها، بل تزداد رسوخاً كلما اقترب من نهايته.

مواقف الرجال · الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات

# ألقوني عليهم

البراء بن مالك رضي الله عنه — معركة اليمامة

في معركة اليمامة ضد جيش مسيلة الكذاب، تحصّن جمعٌ من جيش الردة في حديقةٍ محاطةٍ بجدارٍ عالٍ عُرِفَتْ بـ"حديقة الموت"، فاستعصى على المسلمين اقتحامها وكادت المعركة تطول طويلاً يستنزف الجيش كله. وفي هذا المأزق الذي عجزت عنه الحيلة الجماعية، تقدّم رجلٌ واحدٌ بحلٍّ لا يخطر إلا لمن نسي حساب نفسه تماماً.

طلب البراء بن مالك أن يرفعه أصحابه على تروسهم ثم يقذفوه فوق الجدار وحده ليقاتل من الداخل ويفتح الباب لإخوانه. ففعلوا، فقاتل البراء وحده داخل الحديقة قتالاً شديداً حتى تمكن من فتح الباب رغم كثرة الجراح التي أصابته، فدخل المسلمون واقتحموا الحصن وانتصروا.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ والسيرة (تاريخ الطبري، البداية والنهاية لابن كثير) في سياق حروب الردة ومعركة اليمامة.

كان البراء يعلم أنه قد يُقتل وحده قبل أن يصل إليه أحد من إخوانه، لكنه رأى أن فتح الباب يستحق المخاطرة بحياته كاملة من أجل نصر الجيش بأسره.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن أعلى درجات الشجاعة أن يقبل المرء أن يكون وحده في وجه الخطر،  
إن كان ذلك سبيلاً لنجاة الجماعة. البراء لم يطلب من يشاركه، بل طلب أن  
يُقذَف وحده، لأنه أدرك أن بعض المواقف تحتاج من يُقدم نفسه فداءً لفتح  
الطريق أمام غيره؛ فالجماعة أحياناً لا تُنقَذ إلا بفردٍ واحد يقبل أن يخسر نفسه  
لتريح هي.

مواقف الرجال · الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات

# حِمْي الدَّبر

عاصم بن ثابت رضي الله عنه — غدر الرجيع

أرسل النبي ﷺ بعثةً صغيرةً لتعليم بعض القبائل، فغدرت بهم قبيلة من هُذيل، فأحاطوا بهم وطلبوا منهم الاستسلام مقابل الأمان الذي بدا في الظاهر مخرجاً معقولاً من موقفٍ لا أمل فيه. رفض عاصم بن ثابت أن يستسلم أو يُعطي يده، وكانت كلماته الأخيرة أشبه بوصيةٍ يُودَّعها لمن يأتي بعده لا استغاثةً يطلبها لنفسه.

قال: والله لا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عني نبيك. ثم قاتل حتى قُتل، بينما استسلم بعض أصحابه فغُدر بهم لاحقاً. ولما أراد المشركون بعد مقتله أن يمثّلوا بجثته ليأخذوا رأسه ويبيعوه لبعض أهل مكة، بعث الله سبحانه من الدَّبر (زناير النحل) حمت جسده ومنعتهم من الاقتراب منه، فسُمي "حِمْي الدَّبر".

صحيح البخاري (كتاب المغازي، حديث غزوة الرجيع وقصة عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي).  
ثبات عاصم لم يكن في لحظة القتال وحدها، بل في القرار الأول: ألا يضع يده في يد من لا يثق بذمته، ولو كان الثمن حياته، تحقيقاً لعهدٍ قطعه على نفسه قبل أن يُختبر، فكانت شجاعته قراراً سابقاً على المعركة قبل أن تكون فعلاً فيها.

فتأمل أن الثبات أحياناً يكون في رفض الخيار السهل الذي يبدو نجاة، حين يعلم صاحبه أن باطنه غدر. عاصم اختار الموت الواضح على الاستسلام المشكوك في عاقبته، فحفظ الله جسده بعد مماته كما حفظ عهده في حياته؛ فمن صدق الله في السرّ، لم يُخذل في العلن، ولو تأخّرت شواهد ذلك حتى بعد الممات.

مواقف الرجال · الفصل الثالث عشر: الشجاعة والثبات



## الفصل الرابع عشر

# العدَل



العدل قوام الملك وأساس صلاح الأمم، وقد أمر الله به إطلاقاً بلا استثناء لقريب أو محابة لذي سلطان. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(النحل: 90)

سبعة مواقف من صحابة أقاموا العدل ولو كان على أنفسهم أو أقرب  
الناس إليهم.

# قَوْمُونِي إِنْ أَعْرَجْتَ

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - خطبة الاستخلاف

حين بُوع أبو بكر خليفةً بعد وفاة النبي ﷺ، وقف في الناس خطيباً في أول امتحانٍ يواجهه رجلٌ يتسلّم زمام أمةٍ بأكملها. ولم يفتح خلافته كما يفعل الحكّام عادةً بسرد سلطته وما يستوجبه ذلك من طاعة، بل افتتحها بما يلزمه هو أولاً بالعدل قبل أن يلزم الناس بطاعته، وكأنه أراد أن يقلب معادلة السلطة من أساسها: أنا مسؤولٌ عنكم قبل أن تكونوا مسؤولين عني.

قال رضي الله عنه: «أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... الضعيف فيكم قويٌ عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله... أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإن عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

الحادثة ثابتة بأصلها في السيرة (سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري)، وتعد من أشهر خطب الاستخلاف في التاريخ الإسلامي.

ربط أبو بكر عدله بمعياري خارج عن هواه: طاعة الله ورسوله، فما لم يوافق الشرع لا طاعة له فيه، وجعل حق الضعيف عنده أثقل من حق القوي حتى يستوفيه، فقلب بذلك منطق القوة الذي عرفته الدنيا قبله وبعده.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أول خطوات العدل أن يُقرّ الحاكم بأنه ليس معصوماً، وأن يفتح الباب لمن يُقومه. من رحّب بالنقد قبل أن يُطلب منه ذلك، أعطى شعبه أداة عدلٍ تحميهم منه إن جار يوماً؛ فالخطبة الأولى لأيّ قائدٍ ليست إعلان سلطته، بل إعلان حدودها.

مواقف الرجال • الفصل الرابع عشر: العدل

## متى استعبدتم الناس؟

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - قصة القبطي المصري

جاء رجلٌ من أقباط مصر إلى المدينة يشتكي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد قطع مسافةً طويلةً من أرض فتحها العرب حديثاً، لا يحمل معه إلا شكوى رجلٍ مغلوبٍ على أمره ضد أسرة الوالي الفاتح نفسه. قال: يا أمير المؤمنين، سابقتُ ابن عمرو بن العاص (والي مصر) على فرسي فسبقتَه، فأخذ يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين! فاستدعى عمر عمرو بن العاص وابنه إلى المدينة.

فلما حضروا، أعطى عمر السوط للقبطي وقال له: اضرب ابن الأكرمين. فضربه المصري حتى اشتفى، ثم التفت عمر إلى عمرو بن العاص وقال كلمته الخالدة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟».

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ (تاريخ الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير) وهي من أثبت مواقف عمر في العدل رغم اختلاف بعض الرواة في تفاصيلها الدقيقة.

لم يفرّق عمر بين ابن أشرف قادة الفتح وبين رجلٍ مصريٍّ غريب لا سند له إلا الحق نفسه، فأقام العدل بينهما دون اعتبار للمكانة أو النسب.

◆ وقفة تأمل

واعلم أن العدل الحقيقي يظهر حين يكون الطرف الأضعف هو المظلوم  
والأقوى هو الظالم. من يقيم العدل بين القوي والضعيف دون محاباة للقوة،  
حفظ للناس كرامتهم قبل أن يحفظ لهم حقوقهم المادية؛ فما يُستعاد من كرامةٍ  
مهدورة أثماناً مما يُستعاد من حقٍ مادي.

مواقف الرجال · الفصل الرابع عشر: العدل

# أمير المؤمنين أمام القاضي

علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قضية الدرع

فقد علي بن أبي طالب درعاً له، فوجدها بعد ذلك عند رجلٍ يهودي يعرضها للبيع، فادّعى أنها درعه، فأنكر اليهودي، فرفع الأمر إلى القاضي شريح بن الحارث. وهنا يقف المشهد أمام مفارقةٍ يندر أن يشهدها التاريخ: خليفة المسلمين يجلس أمام قاضيه كأَي خصمٍ عادي، لا فرق بينه وبين رجلٍ من أدنى الرعية.

فأحضر علي شاهدين، هما ابنه الحسن وخادمه قنبر، فردّ القاضي شهادة الحسن لأنه ابن المدّعي (والولد لا تُقبل شهادته لأبيه)، فقضّى شريح للرجل اليهودي بالدرع لعدم اكتمال البيّنة الشرعية. فأخذ اليهودي الدرع وانصرف، لكنه بُهتَ مما رأى، ثم عاد وأسلم قائلاً: أحكامٌ كأحكام الأنبياء! أمير المؤمنين يدّعي عليّ فيتحاكم إلى قاضيه فيقضي عليه!

الحادثة مروية في مصادر عدة من كتب السيرة والتاريخ عن علي وشريح القاضي (كنز العمال، وسنن البيهقي).

لم يستخدم علي سلطته لإجبار القاضي على حكمٍ يرضيه، بل احتكم إلى ذات الميزان الذي يحتكم إليه أضعف الرعية، وقبل الحكم عليه دون اعتراض، فكانت خسارته المادية للدرع أرخص بكثير مما كسبته العدالة من مصداقيةٍ لا تُقدّر بثمن.

## ◆ وقفة تأمل

فتفكر أن أرقى صور العدل أن يُخضع الحاكم نفسه لذات الميزان الذي يُخضع له الرعية، دون أن يستثني نفسه من حكم القضاء. من رضي بحكم العدل على نفسه وهو قادر على تجاوزه، فذلك أصدق دليل على أن عدله ليس شعاراً، وقد أثمر هذا الموقف الواحد ما عجزت عنه خطب كثيرة: إسلام رجلٍ رأى العدالة تعمل بأم عينيه لا بسماع الوعظ عنها.



## لو سرقت فاطمة

أسامة بن زيد رضي الله عنه — قصة المرأة الخزومية

سرقت امرأة من قبيلة بني مخزوم، وهي قبيلة ذات مكانة عالية في قريش لا يُجرؤ عادةً على المساس بأبنائها، فأراد أهلها أن يتوسط لها أحد من الناس عند النبي ﷺ ليدراً عنها الحد. فلم يجرؤ أحد على التوسط عند النبي ﷺ إلا حبه أسامة بن زيد، الذي ظن أن قربه من النبي ﷺ قد يفتح باباً لم يجرؤ غيره على طريقه.

فتلّون وجه النبي ﷺ غضباً، وقال: «أشفع في حدٍّ من حدود الله؟!» ثم قام خطيباً فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الحدود).

لم يستثنِ النبي ﷺ حتى أقرب الناس إليه، ابنته فاطمة، من ميزان العدل، ليعلم الناس أن الشريعة لا تُطبّق على الضعيف وتُرفع عن القوي، فضرب بذلك أعلى مثالٍ ممكن.

فاعلم أن هلاك الأمم السابقة، كما بين النبي ﷺ، لم يكن غياب القانون بل ازدواجية تطبيقه. أخطر ما يصيب العدل ليس أن يغيب، بل أن يُطبَّق على البعض دون البعض. الشرف الحقيقي أن يخضع الجميع للميزان نفسه، وأصدق برهانٍ على مصداقية أي نظام هو أن يبدأ تطبيقه بأقرب الناس إلى صاحب القرار لا بأبعدهم.

مواقف الرجال • الفصل الرابع عشر: العدل

# أمير المؤمنين خصمٌ في مجلس القضاء

زيد بن ثابت رضي الله عنه - قضاؤه بين عمر وأبي بن كعب

وقع خلافٌ بين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب في أرضٍ، فاتفقا على أن يحتكما إلى زيد بن ثابت. ذهب عمر إلى بيت زيد بنفسه، فلما دخل، قام زيد له إكراماً لمكانته كما يقتضي الأدب المعتاد مع خليفة، فقال عمر معاتباً معلّماً في العدل قبل أن يبدأ في القضية: هذا أول جورٍ منك يا زيد!

ثم جلس مع خصمه أبي بن كعب جنباً إلى جنب أمام القاضي تخصمين متساويين، لا فرق بينهما. فلما طلب زيد من عمر أن يحلف اليمين كما تقتضي القاعدة الشرعية (لأن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر)، تأدّب زيد وأراد أن يُخفف اليمين عن أمير المؤمنين، فأبى عمر ذلك، وقال: هذا الجور الثاني! ليكن الحكم عليّ كما يكون على أضعف الناس.

الحادثة مروية في كتب الفقه وأصول القضاء (السنن الكبرى للبيهقي، وكتب تراجم زيد بن ثابت). أصرّ عمر على ألا يمنحه منصبه أي امتيازٍ إجرائيٍّ أمام القضاء، حتى وهو الخليفة الذي عين زيداً في منصبه أصلاً.

فتدبر أن العدل يفسد أول ما يفسد حين يبدأ بامتيازاتٍ صغيرة تبدو بريئة:  
مقعداً أفضل، معاملةً ألطف، تخفيفٌ إجرائي. عمر كان يعلم أن الجور يبدأ من  
هذه التفاصيل الصغيرة قبل أن يتحول إلى ظلمٍ صريح، فسد الباب من أوله  
ببقطةٍ لم تفارقه حتى في أدق تفاصيل مجلس القضاء.

مواقف الرجال • الفصل الرابع عشر: العدل

# لا، حتى تُقيمه على سنته

عبادة بن الصامت رضي الله عنه - إنكاره على معاوية

كان عبادة بن الصامت من كبار الصحابة الذين شهدوا بيعة العقبة وبدراً، فلما رأى في الشام أثناء ولاية معاوية بيعواً تُجرى في الذهب والفضة على غير ما سمعه من النبي ﷺ من شروط التماثل والتقابض، لم يسعه السكوت رغم أن الاعتراض على ممارسات الوالي كان أمراً محفوفاً بالخرج.

فقال عبادة محدثاً بما سمعه من رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة... مثلاً بمثل، سواءً بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد». فلما استمر الناس على المعاملة التي نهى عنها الحديث، قال عبادة: لا أبالي ألا أساكنه في أرضٍ واحدة! ورحل عن الشام إلى المدينة إنكاراً لما رآه.

صحيح مسلم (كتاب المساقاة، حديث الربا في الذهب والفضة)، وأصل موقفه مع معاوية مروي في كتب التاريخ والفقه.

لم يكن عبادة والي الشام ولا صاحب سلطة تنفيذية يستطيع أن يُغيّر يده، لكنه رأى أن سكوته عن مخالفة شرعية يعني تمريرها.

واعلم أن إقامة العدل ليست حكرًا على من يملك السلطة، فقد يكون العدل في الإنكار وحده حين لا يملك المرء غيره. من رفض أن يُسكّته قربُ السلطان عن قول الحق، أدّى فريضة العدل ولو لم يُغيّر بيده؛ فالصمت أمام المخالفة قد يكون في بعض المواطن نوعاً من المشاركة فيها.

مواقف الرجال · الفصل الرابع عشر: العدل

# بم تقضي إذا لم تجد نصاً؟

معاذ بن جبل رضي الله عنه - قاضياً إلى اليمن

لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذ بن جبل والياً وقاضياً إلى اليمن، لم يكتفِ بتوجيهه إلى المهمة، بل أراد أن يفحص منهجه في القضاء قبل أن يرسله. سألته: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» فقال معاذ: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي ولا آلو (لا أقصر).

فضرب النبي ﷺ صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله».

أخرجه أبو داود والترمذي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في اتصال سنده، لكن معناه ثابت عند جمهور الفقهاء ومعمولٌ به في أصول القضاء.

لم يدع معاذ علماً يفوق طاقته، بل رتب مصادر حكمه ترتيباً منهجياً محكماً: النص أولاً، فإن غاب فالاجتهاد المبذول بلا تقصير.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن العدل في القضاء يبدأ بمنهج واضح لا بحسن نية مجردة. معاذ لم يقل إنه سيحكم بهواه إن غاب النص، بل التزم بذل الجهد الأقصى، وهذا هو

الفارق بين اجتهادٍ يخدم العدل واجتهادٍ يخدم صاحبه؛ فمنهج التفكير أحياناً أهم من نتيجته المباشرة، لأنه هو الضمانة التي تتكرر في كل قضيةٍ تالية.

مواقف الرجال · الفصل الرابع عشر: العدل



## الفصل الخامس عشر

# الوفاء



الوفاء أن يبقى العهد كما كان يوم عُقد، لا يتبدل بتبدل الأحوال ولا يخفت بمرور الزمن. قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتُمْن خان».

وفي هذا الفصل سبعة مواقف من صحابةٍ ظلَّ عهدهم كما هو، لم يتغيَّر  
بموتٍ ولا بغيابٍ ولا بطول أمد.

# مالٌ لم ينفع صاحبَ رسالةٍ كما نفع

أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وفاء المال والنفس معاً

أنفق أبو بكر الصديق ماله كله في سبيل الله مراراً، لا مرة واحدة يُشهرها ثم يتوقف، بل عطاءً متصلاً كنهراً لا ينقطع، بادئاً بشراء عتق المستضعفين من المعذّبين في مكة بجلال بن رباح حين لم يجرؤ غيره على تحدي ساداتهم، ثم في تجهيز جيوش المسلمين حين ضاقت بهم السبل، حتى إنه حين أراد الهجرة أخذ ماله كله معه ولم يترك لأهله شيئاً إلا الله ورسوله كما قال حين سأله أبوه أبو قحافة عما تركه لهم.

قال النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجه: «ما نفعتي مالٌ قط ما نفعتني مال أبي بكر». فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟

رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسن غير واحد من أهل العلم، وأصل إنفاقه ثابت في السيرة والصحيحين. لم يكن وفاء أبي بكر موقفاً واحداً بل امتداداً مستمراً منذ أول يوم أسلم فيه إلى آخر يوم في حياته، فما نقص عطاؤه ولا تأخر عن نصرته الدعوة بماله ونفسه في أي محطة.

فتدبر أن الوفاء الحقيقي لا يُقاس بلحظةٍ عابرة، بل باستمرارٍ لا ينقطع. من بذل مرة ثم توقف، أظهر حماساً لا وفاء. أبو بكر أعطى كل مرة كأنها المرة الأولى، وذلك سرّ أن يقول عنه النبي ﷺ ما لم يقله عن مالٍ آخر؛ فالوفاء بالمال ليس في حجم العطية، بل في تكرارها كلما دعت الحاجة دون كللٍ أو حساب.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء

## هذا مني وأنا منه

جُليبيب رضي الله عنه - وفاءٌ لم يعرفه الناس إلا بعد فوات الأوان

كان جُليبيب رجلاً فقيراً مجهول النسب لا يلتفت إليه أحد في المجالس، من أولئك الذين تعبر أسمائهم بلا أن تعلق بذكرة أحد، فزوجه النبي ﷺ من امرأة أنصارية طيبة الأصل. خرج جُليبيب في إحدى الغزوات، وقاتل حتى استشهد، فلم يفقهه أحدٌ من كثرة الناس، وكأن غيابه لم يحدث فراغاً يلاحظه أحدٌ سواه.

فسأل النبي ﷺ بعد المعركة: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال: «لكنني أفقد جُليبيباً». فطلبوه حتى وجدوه بين القتلى وقد قتل سبعة من المشركين قبل أن يُقتل، فوضع النبي ﷺ يديه عليه وقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه». وكررها مراراً، ثم حفر له قبره بيديه.

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث جليبيب).

لم ينسَ النبي ﷺ رجلاً نسيه الناس، فوفاه لأصحابه لم يكن مرهوناً بمكائهم الاجتماعية، وكذلك وفاء جُليبيب لدينه لم يكن مرهوناً بمن سيذكره.

### ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الوفاء أعمق حين يكون في الخفاء، حيث لا شهرة تنتظر صاحبها. جُليبيب لم يُقاتل ليُذكر، لكن وفاءه لدينه جعله يُذكر إلى الأبد. وفاء النبي ﷺ

له بالمقابل يعلمنا ألا نقيس قيمة الناس بما يلفت الأنظار منهم، فأحياناً يكون  
أعظم الوفاء لمن ظنّ الجميع أنه لا يستحق أن يُفتقد.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء

# شهادة تعادل شهادة رجلين

خزيمه بن ثابت رضي الله عنه — ذو الشهادتين

اشترى النبي ﷺ فرساً من أعرابي، فأسرع النبي ﷺ إلى منزله ليأتي بثمنها، وتأخر الأعرابي، فبدأ بعض الناس يماكسون الأعرابي في شراء الفرس منه ظانين أنه لم يبعها بعد، فأنكر الأعرابي البيع من أساسه بمكرٍ لا يخفى. فصاح النبي ﷺ به من بعيد: «أولست ابتعتها منك؟» فقال الأعرابي: والله ما بعته! فقال النبي ﷺ: «بلى، قد ابتعتها منك».

فبينما الناس يحيطون بهما، قام خزيمه بن ثابت الذي لم يشهد البيع أصلاً، فقال: أنا أشهد أنك ابتعتها يا رسول الله. فقال له النبي ﷺ متعجباً: «بم تشهد؟» فقال خزيمه: بتصديقك يا رسول الله. فجعل النبي ﷺ شهادته بمثابة شهادة رجلين، ومن يومئذ لُقّب "ذا الشهادتين".

رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

لم تكن شهادة خزيمه قائمة على معاينة للحدث، بل على وفاءٍ راسخ يثق به أن النبي ﷺ لا يمكن أن يكذب، فقدّم له من الثقة ما يُغني عن الشهادة الحسية.

فتأمل أن الوفاء بالثقة أحياناً أعظم من الوفاء بالفعل، فمن آمن بصدق من عرف صدقه حتى في غياب الدليل الحسي، أعطاه من نفسه ما لا يُقدَّر بثمن. ثقة خزيمة برسول الله ﷺ لم تكن ساذجة، بل ثمرة معرفةٍ طويلةٍ استحقت أن تُعادل شهادة رجلين؛ فالثقة المبنية على سنين من الصدق تصير في ميزان الحق أثقل من شاهدي عيان.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء



# سيف لا يغفو

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه - حراسة النبي ﷺ

لما نزل النبي ﷺ منزلاً في بعض أسفاره وخشي أن يترصد به أحد، جلس يحرسه بعض أصحابه بالتناوب، سهرًا طوعياً لا يطلب منهم أجراً عليه سوى القرب من محبوبهم. وفي إحدى الليالي سمع النبي ﷺ صوت سلاح فسأل عنه، فإذا هو أبو طلحة الأنصاري يحمل سيفه ساهراً يحرسه، فقال له النبي ﷺ: «نم يا أبا طلحة» وهو يشعر بأنه بات في أمان تام بوجوده.

وحين نزلت آية الحفظ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: 67)، أخرج النبي ﷺ رأسه من قبته وقال للحرّاس: «انصرفوا يا أيها الناس، فقد عصمني الله». ورغم ذلك ظل أبو طلحة وأمثاله من الأنصار يبادرون إلى الحراسة كلما أحسّوا أدنى خطر، وفاءً لا انتظاراً لأمر.

أخرجه الترمذي والحاكم، وأصل قصة حراسة الصحابة للنبي ﷺ ثابت في الصحيحين بألفاظ متقاربة. لم يكن أبو طلحة يحتاج إلى تكليف ليقوم بهذا الواجب، بل كانت محبته ووفاءه للنبي ﷺ يدفعانه إلى المبادرة قبل أن يطلب منه.

واعلم أن الوفاء الحق لا ينتظر التكليف، بل يُبادر من تلقاء نفسه. من يحجي من  
يجب دون أن يُطلب منه ذلك، يُظهر أن حبه فعلٌ لا شعار. حراسة أبي طلحة  
الليلى كانت صلاته الخاصة من نوع آخر: عبادة اليقظة من أجل من أحب، لا  
تتوقف حتى حين يُخبره الوحي نفسه بانتفاء الحاجة إليها.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء

# كَفَّنَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ

ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه - يوم اليمامة

كان ثابت بن قيس خطيب الأنصار وصاحب صوتٍ جهوري، وقد بشره النبي ﷺ يوماً بأنه من أهل الجنة، بشارَةً ظل يحملها في صدره كعهدٍ لا يريد أن ينكثه. فلما وقعت حروب الردة ومعركة اليمامة الشديدة، رأى ثابت بعض المسلمين قد بدأ يتزعزع أمام كثرة جيش مسيلمة، فلم يكتفِ بالثبات في مكانه، بل أراد أن يقطع على نفسه كل احتمالٍ للتراجع بفعلٍ رمزي مهيب.

اعتزل واغتسل وتحنَّط (تطيَّب بالحنوط الذي يُستعمل للهوتي) وتكفَّن بكفنٍ، عاقداً العزم على ألا يعود من المعركة إلا شهيداً. ثم قال لمن حوله: بئس ما عودتم أقرانكم! ثم قاتل قتالاً شديداً حتى استشهد، محققاً وعده لنفسه ولربه بأن يفني بما عزم عليه دون تراجع.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ (تاريخ الطبري) في سياق معركة اليمامة، وأصل بشارة النبي ﷺ له بالجنة ثابتة في الصحيحين.

وفاء ثابت هنا لم يكن لشخصٍ بعينه، بل لعهدٍ قطعه على نفسه تجاه دينه في لحظة اهتزاز الصف، فبادر إلى تثبيت نفسه أولاً بفعلٍ رمزي قبل أن يطلب منه أي دور قيادي.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أعظم صور الوفاء أن يفي المرء بعهدٍ قطعه على نفسه في سرّه، لا عهداً ألزم به من الخارج. ثابت لم ينتظر من يُذكره بواجبه، بل ذكر نفسه بنفسه، وحول تردد غيره إلى دافعٍ لثباتٍ أشد؛ فالكفن الذي ارتداه قبل موته كان في حقيقته عهداً مكتوباً بجسده لا بقلبه.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء

## يقتفي أثر خطواته

عبد الله بن عمر رضي الله عنه - وفاءً لأثر النبي ﷺ بعد وفاته

عُرف عبد الله بن عمر بحرصه الشديد على اتباع كل ما فعله النبي ﷺ حتى في أدق التفاصيل التي قد يظنها غيره غير مقصودة أو عابرة. كان يتتبع الأماكن التي نزل فيها النبي ﷺ في أسفاره فينزل هو فيها بعينها، ويصلي حيث صلى، ويتعمد أن يسقي شجرةً كان النبي ﷺ قد سقاها.

يروى نافع مولى ابن عمر أنه كان إذا سافر يتحرى منازل النبي ﷺ بدقة، حتى ذكر أهل العلم أن بعض أصحابه استغربوا هذا الحرص الشديد، فكان يجب بأن هذا مما رآه النبي ﷺ يفعل فاحب أن يكون على أثره.

صحيح البخاري (كتاب الحج وكتاب الجهاد) في مواضع متعددة تحكي تتبعه لأثار النبي ﷺ. لم يكن وفاء ابن عمر مقتصرًا على حفظ الأحاديث ورواية الأحكام، بل امتد إلى محاكاة سلوك النبي ﷺ الحركي والمكاني، حرصاً على ألا يفوته من هديه شيء ولو بدا صغيراً.

### ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الوفاء لمن رحل لا ينتهي برحيله، بل يتجدد كل مرة يُستحضر فيها أثره ويُقتفى هديه. ابن عمر حوّل حبه للنبي ﷺ إلى منهج حياة متكامل، لا

إلى ذكرى عابرة تخفت مع الزمن؛ فالوفاء الحقيقي ما تجاوز الكلمات إلى  
الخطوات، وما استمر بعد غياب صاحبه لا أثناء حضوره فقط.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء

# رحلة طويلة وفاءً بوصية

سلمان الفارسي رضي الله عنه — وفاؤه بعهد قطعه لمعلمه

تنقّل سلمان الفارسي بين عدة معلمين من الرهبان بحثاً عن الدين الحق، رحلة امتدت سنين طويلة عبر بلدان متعددة، وكان كل معلمٍ منهم يوصيه عند موته بالانتقال إلى من بعده حتى يصل إلى النبي المنتظر. وحين حضرت الوفاة آخر رهبانه في عمورية، أوصاه بعلامات النبي المنتظر وأرض ظهوره، ووصف له مكانه.

فوفي سلمان بهذه الوصية رغم طول الطريق ومشقته، حتى وقع في الرق عند قومٍ باعوه إلى يهود المدينة، فظل يترقب علامات النبي التي حُفظت له حتى تحققت في رسول الله ﷺ، فأسلم وأعتقه النبي ﷺ بمكاتبة أعان المسلمون سلمان على أدائها.

الحديث الطويل في قصة إسلام سلمان رواه الإمام أحمد في مسنده بسند حسن، وأصل القصة ثابت في مصادر السيرة.

ما كان لسلمان أن يعرف يقيناً أن رحلته ستنتهي بقاء النبي المنتظر، لكنه وفي بوصية معلمه رغم الغربة والرق والمشقة، حتى تحقق له ما كان يرجوه.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الوفاء بوصيةٍ قد يمتد أثره سنوات طويلة قبل أن تظهر ثمرته. سلمان لم يعرف نتيجة رحلته حين بدأها، لكنه بقي وفياً لخطواتها الأولى حتى النهاية. من صبر على وفائه لعهدٍ لا يرى ثمرته فوراً، وجد أن الله لا يُضيع سعي من صدق؛ فالوفاء الممتد عبر السنين أثقل في الميزان من وفاءٍ يُختبر في لحظة واحدة ثم ينتضي.

مواقف الرجال · الفصل الخامس عشر: الوفاء



الفصل السادس عشر

# الجود والسَّخاء



الجود بذلٌ عن سعة نفسٍ وطيبِ خاطر، لا عن اضطرارٍ أو حرج.  
قال الله تعالى:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

(البقرة: 272)

سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في سناء لم تعرف له الدنيا نظيراً.

# أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان

النبي ﷺ - كما رواه ابن عباس

وصف عبد الله بن عباس جود النبي ﷺ وصفاً دقيقاً يكشف عن نمط ثابت في سخائه: أنه كان أجود الناس في كل أحواله، لكن جوده كان يبلغ ذروته في رمضان، حين يلتقي بجبريل عليه السلام يدارسه القرآن، فيزداد عطاؤه سخاءً وسرعة تفوق كل ما عُرف عنه في سائر أيام العام.

قال ابن عباس: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلةٍ من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الرياح المرسلة».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب فضائل القرآن، حديث جود النبي ﷺ في رمضان).  
لم يكن جود النبي ﷺ منفصلاً عن قربهِ من القرآن ولقائه بالوحي، بل كان القرب من الله يُترجم فوراً إلى سخاءٍ متدفق نحو الخلق، فكلما ازداد قرباً من ربه، ازداد عطاءً لعباده.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أصدق علامات القرب من الله أن يترجم نفسه إلى سخاءٍ مع الخلق، لا انعزالاً عنهم. النبي ﷺ لم يزد انطواءً كلما اقترب من ربه، بل ازداد عطاءً

كالريح المرسلة التي لا تُبقي شيئاً في طريقها إلا حركته ونفعت به. من ازداد  
قرباً من الله ولم يزدد جوداً وسخاءً مع خلقه، فليراجع صدق هذا القرب.

مواقف الرجال · الفصل السادس عشر: الجود والسخاء

# أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - التنافس في الجود يوم تبوك

حين دعا النبي ﷺ إلى تجهيز جيش العسرة لغزوة تبوك، تسابق الصحابة في الإنفاق، وكان عمر بن الخطاب قد عزم أن يسبق أبا بكر في هذا السباق ولو لمرة واحدة، فذهب إلى بيته وأحضر نصف ماله كاملاً، وجاء به إلى النبي ﷺ فرحاً مستبشراً أنه أخيراً سيتفوق على صاحبه في هذا الميدان.

فسأله النبي ﷺ: «ما أَبْقَيْتَ لأهلك؟» فقال عمر: أَبْقَيْتُ لَهُمُ مثله. ثم جاء أبو بكر بماله كله دون استثناء، فسأله النبي ﷺ: «ما أَبْقَيْتَ لأهلك؟» فقال أبو بكر: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فقال عمر عند ذلك: وَاللَّهِ لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن غير واحد من أهل العلم.

لم يكن عمر مقصراً في جوده، فقد جاء بنصف ماله وهو عطاءً عظيم، لكن أبا بكر تجاوز كل حساب حين جاء بماله كله، معلناً أن ثقته بالله ورسوله أغنته عن أي احتياطٍ مادي لأهله.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن التنافس في الجود من أنبل صور المنافسة التي عرفها الصحابة، إذ كانوا يتسابقون لا على جمع الدنيا بل على بذلها. جواب أبي بكر "أَبْقَيْتُ لَهِمُ اللّٰهُ ورسوله" يكشف عن مستوى من الثقة بالله يتجاوز كل حسابٍ مادي. من بلغ هذا اليقين، لم يعد المال عنده حاجزاً أمام سخائه.

مواقف الرجال · الفصل السادس عشر: الجود والسخاء

# قافلةُ اشترتْ لتُوهبَ لا لتُباعَ

عثمان بن عفان رضي الله عنه - جوده في التجارة

أصاب المدينة في بعض السنين قحطٌ وغلاءٌ شديد، فارتفعت أسعار الطعام ارتفاعاً أثقل كاهل الفقراء، وفي تلك الأثناء قدمت قافلة تجارية كبيرة محملة بالقمح تخص عثمان بن عفان، فأسرع إليه التجار يعرضون عليه أن يشتروا منه القافلة كاملة بربح عظيم يتناسب مع الغلاء الحاصل.

فسألهم عثمان: كم تربحونني إن بعتمكم؟ فعرضوا عليه ربحاً مضاعفاً، فقال: قد أعطاني الله بها أكثر من ذلك. فظنوا أنه يريد ربحاً أكبر منهم، فزادوا في عرضهم، فقال: إن الله يعطيني بكل درهم عشرة، فهل تزيدونني على ذلك؟ ثم أعلن أنه جعل القافلة كلها صدقةً على فقراء المدينة، يوزعها عليهم دون ثمن.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ والتراجم في سياق وصف جود عثمان وتجارته الخيرية، وقد وردت بالفاظ متقاربة في مصادر متعددة.

لم يكن عثمان بحاجة إلى هذا الربح التجاري الوفير الذي عرض عليه، فقد كان غنياً أصلاً، لكنه رأى في لحظة القحط هذه فرصةً لا تُعوّض: أن يشتري بماله رضا الله بدل أن يزيد ثروته الدنيوية.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أعظم الجود ما كان في وقت الحاجة العامة الملحة، حين يكون الربح المادي مغرياً والفرصة التجارية مواتية. عثمان لم يستغل غلاء السوق كما يفعل كثيرون، بل حوّل هذه الفرصة الربحية تجارياً إلى صدقة خالصة، فربح ربحاً لا تُقاس قيمته بموازين السوق الدنيوية.

مواقف الرجال · الفصل السادس عشر: الجود والسخاء



# لا يبيت عندي درهمٌ إلى الصباح

علي بن أبي طالب رضي الله عنه - توزيعٌ كامل لا يُبقي فائضاً

عُرف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يحرص على ألا يُبقي عنده من المال ما يزيد عن حاجته اليومية، فكان إذا وصله عطاءً من بيت المال أو أي مصدرٍ آخر، يبادر إلى توزيعه على المحتاجين قبل أن يبيت عنده إلى الصباح، وكأنه يخشى أن يستقر المال في يده فيصير محبوباً لذاته لا وسيلةً للعطاء.

وقد روي عنه في هذا المعنى ما يوافق هدي النبي ﷺ نفسه، فقد كان النبي ﷺ لا يُبقي عنده مالاً يزيد عن حاجته، وكان يقول لأهله فيما رواه أبو سعيد الخدري وغيره من صور جوده الفوري في التوزيع بلا تأخير.

هذا النمط من السلوك مذكورٌ في كتب التراجم والسير عن علي بن أبي طالب، وأصل هدي النبي ﷺ في عدم ادخار الفائض ثابتٌ في الصحيحين بألفاظ متعددة.

لم يكن هذا التوزيع الفوري ناتجاً عن قلة المال، بل عن منهجٍ واعي اختاره علي لنفسه: ألا يدع فرصة العطاء تفوته، وألا يترك للمال وقتاً كافياً ليستقر في قلبه محبةٌ تُضعف سخاءه.

فاعلم أن تأجيل العطاء أحياناً يكون بوابةً لتراجعته، فكلما طال بقاء المال في اليد، ازداد تعلق القلب به. من اعتاد أن يبادر بعطائه فور تمكنه منه، حمى نفسه من تسويفٍ قد يتحول شيئاً فشيئاً إلى بخل. سرعة الجود دليلٌ على صدقه، وبطؤه إنذارٌ مبكرٌ بضعفه.

مواقف الرجال · الفصل السادس عشر: الجود والسخاء

# بحر الجود

عبد الله بن جعفر رضي الله عنه

اشتهر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بين الصحابة والتابعين بلقب لم يُطلق على غيره بهذا الإطلاق: "بحر الجود"، إذ كان سخاؤه يفوق كل حساب، حتى إنه كان يهب الأشياء النفيسة لمجرد سماعه ثناءً عليها، دون أن ينتظر طلباً صريحاً من أحد.

يُروى أنه مرّ ذات مرة ببستانٍ جميل فسمع صاحبه أو أحد الحاضرين يمدح جماله، فما كان منه إلا أن اشتراه على الفور ووهبه للمادح، مستغرباً أن يمدح أحدُ شيئاً في حضرته ولا يناله. وكان يبيع أملاكه أحياناً ليفي بديون من يستدين منه دون أن يُطالبه أحد.

هذه الروايات مشهورة في كتب التراجم والتاريخ (كالإصابة لابن حجر) في سياق وصف جود عبد الله بن جعفر الأسطوري الذي اشتهر به بين معاصريه.

لم يكن جود عبد الله بن جعفر محسوباً بمقياس الحاجة الفعلية لمن يعطيهم، بل كان استجابةً فورية لأي إعجابٍ يسمعه أو حاجةٍ يلمسها، حتى صار مضرب المثل في هذا الباب بين معاصريه.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الجود حين يبلغ هذا المستوى يصبح طبعاً لا تكلفاً، فصاحبه لا يحسب قبل أن يعطي، بل يعطي أولاً ثم لا يلتفت للحساب. من بلغ هذا المقام، وجد أن العطاء نفسه أصبح مصدر سعادته لا نقصاً في ماله، وأن يده اليمنى لا تعرف ما تنفق شماله لكثرة ما اعتادت البذل.

مواقف الرجال · الفصل السادس عشر: الجود والسخاء

# الفيّاض

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

عُرِفَ طلحة بن عبيد الله بلقب "الفيّاض" لكثرة عطائه وسخائه الذي كان يفيض على كل من حوله دون حساب دقيق، فكان من أثرى الصحابة، لكن ثراه لم يكن يعني تكديساً للمال، بل قنّةً واسعة يتدفق منها العطاء إلى كل محتاج.

يُروى أن طلحة باع أرضاً له بسبعمئة ألف درهم، فبات تلك الليلة قلقاً لا ينام، فسألته امرأته عن سبب قلقه، فقال: ما بت ليلة وعندي مالٌ كهذا في بيتي قط، وما أدري كيف أوزعه! فما أصبح الصباح حتى فرق المبلغ كله على فقراء المهاجرين والأنصار قبل أن يمسه أحدٌ من أهله.

هذه الرواية مشهورة في كتب التراجم والتاريخ عن طلحة بن عبيد الله، وأصل ثراه وجوده ثابتٌ في مصادر السيرة والتاريخ المعتبرة.

لم يكن قلق طلحة من ثراءٍ فاجأه، بل من مالٍ استقر عنده لم يوزعه بعد، فكان وجود المال دون توزيعه عبئاً يُقلقه أكثر من عبءٍ فقده، فبادر إلى توزيعه فور أن استطاع.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الجود الحقيقي حين يترسخ في القلب، يصبح صاحبه يقلق من احتباس المال أكثر مما يقلق من إنفاقه. طلحة لم ينم مرتاحاً حتى أفرغ يده من مالٍ استقر فيها ليلة واحدة، وهذا عكس تماماً ما يقلق منه أهل الشح، الذين يقلقون من خروج المال لا من بقاءه.

# لولا شرع القرى لترك اقتداءً به

سعد بن عباد رضي الله عنه — سخاؤه في الضيافة

اشتهر سعد بن عباد، سيد الخزرج، بكرم فائق في إطعام الضيوف وإكرامهم، حتى صار بيته مضرِباً للثل في الجود على الطعام والضيافة، وكان من عادته ألا يترك ضيفاً يخرج من عنده إلا وقد أشبعه وأكرمه أعظم إكرام، دون أن ينتظر مناسبة أو دعوةً مسبقة.

يُروى في وصف كرمه أن النبي ﷺ أثنى على أهل بيته في الجود والضيافة، وكان سعد يتفقد أحوال أهل المدينة، فمن رأى فيه حاجة أو جوعاً، دعاه إلى طعامه دون تردد أو حساب لعدد الطارقين على بابه.

وصف كرم سعد بن عباد وأهل بيته مذكور في كتب التراجم والسير (كالإصابة لابن حجر وأسد الغابة لابن الأثير)، وهو من أشهر الصحابة المعروفين بالجود على الطعام.

لم يكن كرم سعد يقتصر على مناسبات معدودة، بل كان نمط حياة يومي، فبيته لم يكن يخلو من ضيفٍ يُكرم أو محتاجٍ يُطعم، حتى صار اسمه مرادفاً للكرم في أذهان معاصريه.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الكرم حين يصبح عادةً يومية لا مناسبةً عارضةً، يبلغ أعلى درجاته. سعد لم ينتظر عيداً أو زيارةً رسميةً ليكرم ضيوفه، بل جعل بيته مفتوحاً دائماً لكل قاصد. من جعل الكرم سجيةً يومية لا استثناءً موسميّاً، بلغ من الجود ما يذكره الناس عنه أجيالاً بعد رحيله.

مواقف الرجال · الفصل السادس عشر: الجود والسخاء



## الفصل السابع عشر

# الإيثار



الإيثار أن تُقدِّم غيرك على نفسك وأنت في أمس الحاجة إلى ما تُقدِّمه،  
وهو أعلى منازل الأخوة التي لا يبلغها إلا قلبٌ تحرر من أسر ذاته.  
قال الله تعالى واصفاً الأنصار:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

(الحشر: 9)

سبعة مواقف من صحابةٍ قدّموا إخوانهم على أنفسهم وهم في أشد  
الحاجة.

# خليفة يجوع مع رعيته

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - عام الرمادة

ألمت بالجزيرة العربية في خلافة عمر بن الخطاب سنة حَقٍّ شديدة عُرِفَتْ بـ"عام الرمادة"، حتى اسودَّت الأرض من الجذب وكأنها ارتدت ثوب حدادٍ على أهلها. وحين تضيق الأرض هكذا، يسأل القلب المؤمن نفسه سؤالاً لا يسأله كل الناس: أشبع وحدي وحوالي من يجوع؟ فأقسم عمر ألا يذوق سمناً ولا لحماً ولا لبناً حتى يُرفع الجذب عن المسلمين، وأصبح يأكل الزيت وحده حتى تغيّر لون بشرته من قلة الطعام.

وكان يسهر الليالي يتفقد الرعية بنفسه، ويوزع الطعام على المحتاجين قبل أن يطعم هو، حتى قال له خادمه أسلم: يا أمير المؤمنين، لو أكلت مما يأكل الناس. فأجابه بجوابٍ يكشف عن سرِّ الإيثار كله:

قال عمر: إني إن لم أذق ما يذوقون لم أبال بجوعهم! وكان يبعث بالطعام إلى الأعراب القادمين من البادية قبل أن يتذوقه أهل بيته.

الحادثة ثابتة بأصلها في كتب التاريخ (تاريخ الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير) وهي من أشهر ما روي عن عام الرمادة.

لم يكتفِ عمر بتوزيع طعام الدولة على الجائعين، بل حرم نفسه طواعية من الطيبات ما دام رعيته يعانون، وفي هذا الحرمان الاختياري حكمةٌ لطيفة أدركها بفطرته

السليمة: أن الشَّبَع وحده، والناس من حولك جِيع، يُبَلِّد القلب عن الإحساس  
بألمهم، فحفظ لنفسه حرارة الشعور بمعاناتهم بجوعه المشترك لهم.

### ◆ وقفة تأمل

أعلى درجات الإيثار أن يرفض القائد امتيازاً كان بإمكانه التمتع به بلا  
اعتراض، لأنه يرى أن مشاركة الألم واجب قبل أن تكون رمزاً. وقد كان من  
هدي النبي ﷺ نفسه ألا يشبع وجاره جائع، فاقتدى عمر بهذا الهدي حتى في  
قمة السلطان؛ فمن أراد أن يعرف صدق رحمته بالمحتاجين، فليسأل نفسه: هل  
يستطيع أن يذوق شيئاً من جوعهم قبل أن يمدّ لهم يد العون؟

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار

# جيشٌ يجهزُ بمالٍ واحدٍ

عثمان بن عفان رضي الله عنه - جيش العسرة وبئر رومة

حين دعا النبي ﷺ إلى تجهيز جيشٍ لغزوة تبوك في وقتٍ عصيبٍ من القحط والحر الشديد، وقف كثيرٌ من الناس عاجزين أمام هذا النداء، إذ ليس كل قلبٍ يملك في لحظة العسرة ما يملكه قلب المؤثر. بادر عثمان بن عفان فجهز ثلث الجيش تقريباً بماله الخاص: تسعمئة بغير ومئة فرس بأقتابها وأزمّتها، فضلاً عن ألف دينار صَبَّها بين يدي النبي ﷺ، وكأنه أراد أن يُثبت أن التجارة التي أغنته لم تكن غايته، بل كانت وسيلته إلى هذه اللحظة بالذات.

فقلّب النبي ﷺ الدنانير بيده وهو يقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» مراراً. وكان عثمان قبل ذلك قد اشترى بئر رومة، وهي بئر عذبة كان يبيع صاحبها اليهودي ماءها للمسلمين، فاشتراها عثمان بماله وجعلها وقفاً لعامة المسلمين بلا ثمن.

رواه الترمذي بسند حسن لحديث "ما ضر عثمان"، وقصة بئر رومة ثابتة في مصادر السيرة والتاريخ.

لم يكتفِ عثمان بإنفاق الفائض من ماله، بل أفنى جزءاً كبيراً من ثروته في لحظة عسرةٍ عامة، مؤثراً حاجة الأمة على تنمية ماله الخاص، وكأن كل درهمٍ أخرجه من خزائنه كان استبدالاً واعياًً لدنيا زائلةٍ بآخرةٍ لا تفنى.

## ◆ وقفة تأمل

الإيثار بالمال في أوقات الشدة العامة له أثرٌ يتجاوز صاحبه إلى أمةٍ بأكملها. عثمان لم ينفق في رضاء، بل في عسرةٍ سُميت الغزوة باسمها، فكان عطاؤه أثقل من عطاءٍ في زمن الرغد؛ ذلك أن العطاء في وقت العسرة يشبه سُقيا الظمآن نفسه من مائه الأخير، وهو أدنى إلى الإيثار الحقيقي من عطاءٍ لا يُكَلِّف صاحبه شيئاً.

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار

# شطرُ المال ونصف البيت

سعد بن الربيع رضي الله عنه - مؤاخاة الأنصار والمهاجرين

حين آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة، لم تكن تلك المؤاخاة مجرد إعلان رمزي، بل كانت ميثاقاً حياً تُختبر حرارته على الفور. آخى النبي ﷺ بين سعد بن الربيع الأنصاري وعبد الرحمن بن عوف المهاجر الذي ترك كل ماله في مكة ودخل المدينة لا يملك من الدنيا شيئاً. فقال سعد لأخيه الجديد قولاً لم يُخف فيه شيئاً مما يملك:

قال سعد: أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي نفذه، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك أطلقها لك، فإذا انقضت عدتها تزوّجتها. فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلّني على السوق. فما لبث أن اتجر حتى استغنى بنفسه، دون أن يأخذ من إيثار سعد شيئاً، لكن إيثار سعد بقي مثلاً يروى إلى اليوم.

صحيح البخاري (كتاب البيوع، حديث مؤاخاة سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف).

لم يعرض سعد على أخيه الفضلة من ماله، بل عرض عليه نصفه كاملاً، وعرض عليه أن يتنازل عن إحدى زوجتيه، وهو عرض لم يسبق له نظير في سخائه، وكأنه أراد أن يذيب معنى "الأخوة" حتى في أخص ما يملك الإنسان: شريكة حياته.

## ◆ وقفة تأمل

الإيثار الحقيقي لا يعرض الفائض، بل يعرض النصف الحقيقي مما يملك. سعد لم يقل "خذ ما تحتاج"، بل قال "خذ نصف ما أملك"، فكان معيار عطائه مساواته لا فضلته؛ وكفى بهذا العرض شاهداً على أن الأخوة التي بناها الإيمان كانت أمتن من كل رابطةٍ عرفتها الأرض من قبل.

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار



## لن تنالوا البر

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه — بستان بيرحاء

كان أبو طلحة من أكثر أنصار المدينة نخيلاً، وكان أحب أمواله إليه بستاناً يُسمى "بيرحاء" يقع مقابل المسجد النبوي، تظللّه نخلاته الباسقة وتنبع فيه عينٌ عذبة كان النبي ﷺ يدخله ويشرب من مائها. فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، لم يمهّل أبو طلحة نفسه فرصة التسويف التي يمهّلها كثيرون أنفسهم بين سماع الآية وتطبيقها.

فقال: يا رسول الله، إن أحبّ أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقةٌ لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي ﷺ: «بخ، ذلك مالٌ راجح، ذلك مالٌ راجح، وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الزكاة، حديث بستان بيرحاء).

لم يتردد أبو طلحة لحظة بين سماع الآية والتصدق بأحبّ ماله إليه، فقرن الفهم بالتنفيذ الفوري دون تسويف، وكأنه أدرك بفطنة القلب المؤمن أن الآية إنما تخاطبه هو بعينه لا الناس من حوله.

الإيثار الحقيقي لا يكون فيما تستغني عنه، بل فيما تُحبه أكثر من غيره. سرعة  
استجابة أبي طلحة تذكّرنا أن التسويف قد يُطفئ حماس اللحظة التي يستجيب  
فيها القلب لأمر الله؛ فكم من نية صادقة ماتت في صدرها لأن صاحبها أجلّ  
تنفيذها إلى غدٍ لم يأت بعد.

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار

# إيثارُ في عِمة الليل

رجلٌ من الأنصار رضي الله عنه - ضيف النبي ﷺ

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يشكو الجوع، فأرسل النبي ﷺ إلى بيوت أزواجه فلم يجد طعاماً يُقدِّم له، إذ لم يكن بيت النبوة نفسه بمنجاةٍ من ضيق العيش في تلك الأيام. فقال ﷺ: «من يُضيف هذا الليلة؟» فقام رجلٌ من الأنصار وقال: أنا يا رسول الله. فذهب به إلى بيته، وسأل امرأته: هل عندك من طعام؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، وبهذا الجواب البسيط انكشف حجم الاختبار الذي وضع الله فيه هذا البيت الفقير.

فقال: نومي صبيانك، وهيئي طعامك، وأصلي سراجك، فإذا دخل الضيف فأطفئي السراج، وأرينا أننا نأكل. فجلسا مع ضيفهما، فأكل الضيف حتى شبع، وهما يُحرِّكان أيديهما فوق الطعام الفارغ إيهاماً له بأنهما يأكلان معه، وباتا طاويين لم يذوقا شيئاً.

صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الأشربة والأطعمة)، وفي إحدى الروايات نزلت فيه الآية: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

لم يخبرا ضيفهما أنهما جائعان مثله، فأثرا أن يشبع هو وبيتهما هما على الجوع، دون أن يشعر الضيف بحقيقة الأمر حتى انتهى، وكأن إطفاء السراج لم يكن إخفاءً للمائدة الخاوية فقط، بل إخفاءً لتضحية لا يريدان أن يمتنّا بها على أحد.

## ◆ وقفة تأمل

أرقى الإيثار ما لا يعلم به المؤثر له، فلا يشعر بمنّة ولا يستشعر تضحيةً بذلت من أجله. حين تُخفي عطاءك حتى عمّن أعطيته، تكون قد أخلصت النية لله وحده؛ فالسراج الذي أطفئ في تلك الليلة أضواء بنوره في القرآن نفسه، إذ أنزل الله فيه آيةً تُتلى إلى قيام الساعة.

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار

# سُقيا لا تصل إلى فم واحد

ثلاثةٌ من جرحى اليرموك رضي الله عنهم

يروى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن ثلاثةً من المسلمين أُثخنوا بالجراح في معركة اليرموك، فخرج أحد الصحابة يبحث بينهم بقربة ماء يسقي من وجد فيه رmqاً. فوصل إلى أولهم، وقد كانت لحظة حاجته إلى الماء أشد من أي لحظة عاشها في حياته، فأراد أن يسقيه، فأشار إلى الثاني القريب منه وهو يئنّ من العطش أن اسقه أولاً.

فذهب الرجل إلى الثاني ليسقيه، فأشار الثاني إلى ثالث أبعد منهما أنه أحوج، فذهب إلى الثالث فوجده قد فارق الحياة، فعاد إلى الثاني فوجده قد مات أيضاً، فعاد إلى الأول فوجده قد مات كذلك، فلم يشرب واحدٌ منهم قطرة ماء، وآثر كلُّ منهم صاحبه حتى لقوا الله جميعاً.

أورده ابن كثير في تفسيره عند تفسير آية الإيثار من سورة الحشر، وأصل السند يُنسب إلى الطبري بإسناد جيد.

لم يكن أحد هؤلاء الثلاثة يعلم أنه سيموت قبل أن يصل الماء إليه، ومع ذلك آثر كل واحدٍ منهم رفيقه في آخر لحظاتٍ من حياته، فكانت آخر إرادةٍ في نفوسهم وهي تفارق الدنيا إرادة عطاء لا إرادة أخذ.

## ◆ وقفة تأمل

حين يكون الإيثار في آخر لحظة من العمر، وعند أشد الحاجة الجسدية، يبلغ أعلى معانيه. هؤلاء الثلاثة لم يملكوا من الدنيا في تلك اللحظة إلا جرعة ماء، ومع ذلك تنازل كل واحد عنها لأخيه؛ فما أعظم إيماناً يجعل صاحبه، وهو يودّع الحياة، لا يفكر إلا في أن يمنح غيره ما يحتاجه هو أشد الحاجة.

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار

# ربح البيع أبا يحيى

صهيب الرومي رضي الله عنه - إيثار الدين على المال كله

أراد صهيب الرومي أن يهاجر من مكة إلى المدينة، فتبعه نفرٌ من مشركي قريش يريدون منعه، فوقف لهم وقال: يا معشر قريش، قد علمتم أنني من أركم بالسهم، ووالله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهمٍ معي، ثم أضاربكم بسيفي حتى أفنيه في يدي، ثم شأنكم بعد ذلك. فإن أحببتم أن أدلكم على مالي بمكة وتخلّوا سبيلي، فعلتُ، وهو عرضٌ يكشف عن يقين رجلٍ لم يعد يرى للمال قيمة أمام حريته في عبادة ربه.

فقبلوا العرض، فدلّهم على ماله كله فأخذوه، وهاجر إلى المدينة بلا شيء. فلما بلغ النبي ﷺ الخبر، قال: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى»، وأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

أورد القصة الحاكم في المستدرک وابن جریر الطبری في سياق تفسير الآية 207 من سورة البقرة، وقد حسن سندها بعض المحققين.

أثر صهيب دينه ومصاحبة النبي ﷺ على ثروة كاملة جمعها بكده سنوات، دون أن يساوم على الهجرة نفسها، بل ساوم فقط على المال الذي لم يعد يعنيه شيئاً أمام هدفه، وكأن كل درهمٍ تركه خلفه كان ثمناً زهيداً لصفقةٍ وصفها النبي ﷺ نفسه بأنها رابحة.

## ◆ وقفة تأمل

حين يُخَيَّرُ المرء بين ماله ودينه، فإن سرعة تفريطه في المال دليلٌ على مكانة الدين في قلبه. صهيب لم يتفاوض على الهجرة، بل تفاوض فقط على ثمنها المادي، لأن قلبه كان قد حسم الأمر قبل أن تبدأ المساومة؛ فالربح الذي بشره به النبي ﷺ لم يكن ربحاً دنيوياً يُحسب بالدينار، بل ربحاً لا يعرف قيمته إلا من ذاق طعم اليقين.

مواقف الرجال · الفصل السابع عشر: الإيثار



## الفصل الثامن عشر

# الزُّهْدُ



الزهد ليس تركاً للدينا بالكلية، بل هو آلا يملأ حبها القلب فيقدم على ما هو أبقى. قال النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجه بسند حسن: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس». وفي هذا

الفصل سبعة مواقف من صحابةٍ ملكوا الدنيا أو لامسوها فلم تملك  
قلوبهم.

# أثر الحصار في ظهر الخليفة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه — زهد أمير المؤمنين

دخل بعض الصحابة على عمر بن الخطاب في خلافته، وهو أمير أعظم دولة عرفها ذلك الزمان تمتد بين فارس والروم، فوجدوه نائماً على حصيرٍ خشن ترك في جنبه أثراً بيناً، وثوبه مرقّع في أكثر من موضع، وبیت ماله يفيض بخزائن كسرى وقیصر لا يأخذ منها إلا قدر كفايته اليسير. فلو سألت نفسك: أي قوة تلك التي تُبقي يد الرجل بعيدة عن كنوزٍ هو مالکها الفعلي؟ لعلمت أن ذلك من أصعب امتحانات القلب.

لما دخل عليه رسولٌ من قبل بعض الملوك ورآه على هذه الحال، قال متعجباً: ملكتَ فعدلت فأمنت فنمت، أمّا ملوکنا فملکوا فظلموا فما ناموا.

وقد بكى عمر رضي الله عنه حين قيل له إن كسرى وقیصر ینعمان بالحریر والذهب وهو على حصیر، وقال: أولئك قومٌ عجّل لهم طیباتهم في حياتهم الدنيا.

صحيح البخاري (كتاب النكاح وكتاب المظالم) بألفاظ متقاربة لأصل الحادثة، وتفصيل زهده مبثوثة في كتب السيرة والتاريخ.

لم يكن فقر عمر عن عجز، بل عن اختيار؛ فقد كانت الدنيا بين يديه يوزعها كيف شاء، فاختار لنفسه أدناها وأعطى الناس أوفاهها، وكأنه كان يخشى أن تكون لذة

### ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الزهد الأصعب هو زهد المتمكّن لا زهد المعدوم. من لا يملك شيئاً فزهده اضطراراً، أما من يملك مفاتيح الدنيا ثم يزهد فيها، فذلك زهد يُقاس بحقيقته لا بمظهره. عمر لم يزهد لأنه لا يقدر، بل لأنه يخشى أن تُنسيه النعمة غاية وجوده؛ فكانت دموعه على حصيره أصدق شهادة على أن الزهد الحق مقامٌ قلبي لا يُدرَك بالحرمان، بل يُختار طوعيةً وسط أعظم الإغراء.

# لا رهبانية في الإسلام

عثمان بن مظعون رضي الله عنه — حين جاوز الزهد حدّه

كان عثمان بن مظعون من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان زاهداً شديداً الرغبة في التجرد التام لعبادة الله، حتى حدث نفسه أن يعتزل النساء، ويصوم النهار كله، ويقوم الليل كله دون انقطاع، طلباً لأعلى درجات القرب من الله كما كان يظن. فجاءت زوجته إلى عائشة رضي الله عنها تشكو حالها، وقد بدا عليها الإهمال في زينتها لانصراف زوجها عنها بالكلية.

فلما رأى النبي ﷺ أثر هذا الزهد المفرط، لم يترك الأمر دون تصحيح، بل استدعى عثمان وخاطبه بكلام يضع حداً فاصلاً بين الزهد المشروع والرهبنة المذمومة التي لم يأذن بها الإسلام.

قال النبي ﷺ: «يا عثمان، لم يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السمحة، أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأبأشر النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». وفي رواية أخرى قال له: «إن لجسدك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً».

أصل الحديث في صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب النكاح، حديث الترغيب في النكاح والنهي عن التبتل)، وقصة عثمان بن مظعون وزوجته أخرجها ابن سعد في الطبقات وغيره بأسانيد متقاربة.

لم ينكر النبي ﷺ على عثمان أصل رغبته في القرب من الله، فقد كانت نيته صادقة، لكنه صحّ له الطريق: أن الزهد الحقيقي ليس هجراً لحقوق الجسد والأهل، بل توازناً بين أداء هذه الحقوق وعدم التعلق بها تعلقاً ينسي الآخرة.

### ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الزهد قد ينقلب إلى ضده إذا جاوز حده، فيصبح تعذيباً للجسد وتضييعاً لحقوق أوجبها الشرع نفسه. عثمان بن مظعون لم يُرد إلا خيراً، لكن حسن النية وحده لا يكفي إن لم يقترن بفقهِ صحيح لحدود الشرع. من ظن أن كثرة الحرمان علامة القرب من الله، فليتذكر أن النبي ﷺ نفسه، وهو أزهد الناس، كان يأكل ويشرب وينكح، فالزهد اعتدال لا إفراط.

# أمير يعمل بيده

سلمان الفارسي رضي الله عنه — زهد الأمير

بعد رحلة طويلة قضاها سلمان الفارسي باحثاً عن الدين الحق، متنقلاً بين المعلمين كما ينتقل الظمآن بين الآبار، أسلم وصار من أخص أصحاب النبي ﷺ، ثم ولي إمارة المدائن في خلافة عمر بن الخطاب. فإذا بالرحالة الباحث عن الحق يصير أميراً على أرض واسعة، لكن الإمارة لم تُغيّر من جوهره شيئاً.

كان سلمان أميراً يتقاضى راتباً من بيت المال بحكم منصبه، لكنه كان يتصدق به كله دون أن يمسّ منه شيئاً لنفسه، ويعيش من عمل يده كصانع سِعف، وكأنه أراد أن يُبقي بينه وبين سلطة المنصب مسافةً لا يخترقها المال العام مهما كانت مشروعيته.

يُروى أن رجلاً قدم المدائن فرأى سلمان الأمير يصلح سِعفاً بيده، فتعجب وقال: أنت الأمير وتفعل هذا؟! فأجابه سلمان: أحبّ ألا أكل إلا من عمل يدي.

الحادثة مشهورة في كتب الزهد والتراجم (حلية الأولياء لأبي نعيم، وصفة الصفوة لابن الجوزي)، وأصل زهد سلمان في العطاء ثابت في مصادر السيرة.

لم يكن سلمان يرى في منصب الإمارة سبباً لتوسيع عيشه، بل كان يخشى أن يكون الراتب المشروع فتنةً له رغم حِلّه، فأثر أن يجعل بينه وبين المال الحلال الميسور

حاجراً من كدّ يديه، لا لأن المال حرام، بل لأن راحة النفس فيه مشبوهة.

### ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الزهد لا يتناقض مع تولّي المسؤولية، بل يكون أعمق أثراً حين يزهد صاحب السلطة فيما تحت يده. من قاد الناس وهو زاهدٌ في حظّه منهم، كان أهلاً لثقتهم؛ ومن قادهم طمعاً في حظّه منهم، خانهم ولو لم يشعر، فالفارق بين الأمير الزاهد والأمير الطامع هو الفارق نفسه بين من يخدم رعيته ومن تخدمه رعيته.

مواقف الرجال • الفصل الثامن عشر: الزهد



# أمين الأمة الذي مات ولا شيء له

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه — زهد القائد

لقّب النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح بـ"أمين هذه الأمة"، وكان لهذا اللقب ثمنٌ لا يقلّ عن شرفه، فكان قائداً عاماً لجيوش الشام في خلافة عمر، يتصرف في أموالٍ عظيمة وغنائم واسعة تفتحها سيوف جنده كل يوم، ومع ذلك بقي على حاله الزاهدة الأولى وكأن ثروة الشام كلها لم تمرّ من أمام عينيه.

يُروى أن عمر بن الخطاب زاره في الشام فوجد بيته لا يحوي من الأثاث إلا سيفه ورحله ووعاءً يتوضأ منه، فبكى عمر رحمةً لحال أميره على كل تلك الفتوحات، فقال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، ستبلغك عني أمورٌ تُرضيك عن هذا كله يوم القيامة إن شاء الله.

الحادثة مشهورة في كتب التراجم والزهد (حلية الأولياء، وسير أعلام النبلاء للذهبي)، وأصل مكانته كأمين الأمة ثابت في صحيح البخاري.

توفي أبو عبيدة بطاعون عمواس وهو لا يزال قائداً للجيش، ولم يترك من متاع الدنيا ما يستحق أن يذكر، رغم أن الفتوحات التي قادها أدخلت خزائن الدولة أموالاً لا تُحصى، فكان يده كانت مجرد قناةٍ يمرّ منها المال إلى غيره، لا وعاءً يستقر فيه.

واعلم أن القرب من المال أخطر اختبارٍ للزهد. من يمرّ بالمال مروراً ولا يمسه،  
أهون اختباراً ممن يتصرف فيه يومياً بلا أن يعلق منه بقلبه شيء. أبو عبيدة  
كان أميناً على أموال الأمة قبل أن يكون أميناً على لقبه، فحفظ الأمانة  
الصغيرة قبل أن تكبر، وهذا سرٌّ من أسرار من ثبتت له الأمانات الكبرى.

مواقف الرجال • الفصل الثامن عشر: الزهد

## بكاء على مائدة الغنى

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه - زهد القلب مع بسطة المال

كان عبد الرحمن بن عوف من أثرى أصحاب النبي ﷺ، وكانت تجارته تُدرّ عليه أموالاً طائلة يعجز عن حصرها أهل حسابه، ومع ذلك لم يكن الغنى يُنسيه إخوانه الذين سبقوه إلى الشهادة وهم فقراء لا يملكون ثمن كفنٍ يستر أجسادهم. وذات يومٍ وهو صائم، أُتي له بطعامٍ شهيّ، فما إن وُضع بين يديه حتى انفتح في ذاكرته باب لا يُغلق.

تذكر مصعب بن عمير الذي استشهد يوم أحد ولم يجدوا ما يُكفّن به إلا بردةً إن غطّوا بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطّوا رجله بدا رأسه، فوقف هذا التناقض المؤلم أمام عينيه: كيف يُقتل مصعبُ الأفضل ولا يجد كفناً، ويعيش هو ليجد كل هذا الترف بين يديه؟

فبكى عبد الرحمن بن عوف حتى ترك الطعام، وقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خيرٌ مني، فلم يوجد له ما يُكفّن فيه إلا بردة... ثم بُسّط لنا الدنيا، أو أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا.

لم يكن غنى عبد الرحمن حراماً ولا مذموماً، فقد كان ينفق سخياً في سبيل الله، لكنه ظل يخشى أن يكون هذا الغنى قد استوفى له نصيباً من الطيبات في الدنيا كان يمكن أن يُدّخر له في الآخرة، فحول المائدة الشهية إلى مناسبة للبكاء لا للفرح.

#### ◆ وقفة تأمل

فتأمل أن الزهد هنا ليس في ترك المائدة، بل في القلب الذي لم يفرح بها فرحاً غافلاً، بل قارنها بحال إخوانه الذين لم ينالوا منها شيئاً. من نال نعمة ولم ينسَ من حرم منها، حفظ لقلبه زهده وسط الغنى؛ فالزهد الحقيقي لا يُقاس بما في اليد، بل بما يعبر في القلب وهو يرى النعمة.

# خادمٌ أم تسبيح؟

فاطمة الزهراء رضي الله عنها - زهدٌ اختارته على راحتها

اشتكت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى أبيها ما تلقاه يداها من أثر الطحن والعمل في بيتها، وعلمت أن عنده سبياً قد يُخصّص لها منهم خادماً يخفف عنها العناء اليومي، فأنته تسأله ذلك، فلم تجده، فتركت الرسالة عند عائشة. فلما جاء النبي ﷺ إلى بيت فاطمة وعلي في الليل، أخبراه بحاجتهما التي كانا ينتظران قضاءها.

فجلس بينهما رسول الله ﷺ حتى وجدا برد قدميه على صدريهما، وقال: «ألا أدلكما على خيرٍ مما سألتاني؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين، وسبحاه ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم». فما تركتها فاطمة بعدُ.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الدعوات، وكتاب فضائل الصحابة).  
لم يمنع النبي ﷺ ابنته الخادم بخلاً، بل أراد أن يدها على زادٍ أبقي من راحة العضو الفانية، فقبلت فاطمة بديلاً لم تكن تطلبه أصلاً، ورضيت به راضية، فتحول تعب يديها اليومي إلى ذكرٍ يتجدد كل ليلة، لا ييلي كما تيلي راحة الجسد.

فاعلم أن الزهد أن تقبل بديلاً روحياً عما تظن أنه راحة جسدية، حين يُعرض عليك ذلك من موضع الحكمة. فاطمة بضعة النبي ﷺ لم تُعَفَ من كدّ العيش، لكنها وجدت في الذكر ما يُهَوِّن عليها تعب اليد، وفي هذا درس أن أعظم عطاءٍ قد لا يكون فيما نطلبه، بل فيما يُختار لنا بحجة أعرف بحاجتنا الحقيقية.

# بردة لا تكفي جسداً واحداً

مصعب بن عمير رضي الله عنه - من نعيم مكة إلى بردة أحد

كان مصعب بن عمير قبل إسلامه أنعم شباب مكة، يلبس أنخر الثياب ويضرب به المثل في الترف حتى قيل إنه كان يُعرف من عطر ثيابه قبل أن يرى وجهه. فلما أسلم، تخلّى أبواه عنه وقطعا عنه النفقة، فانتقل من الحرير إلى الخشونة دون أن يتردد لحظة، وكأن المسافة بين ثوبي الحرير والخشونة لم تكن تعني له شيئاً أمام مسافةٍ أخرى قطعها في قلبه بين الكفر والإيمان.

أرسله النبي ﷺ سفيراً للإسلام إلى المدينة قبل الهجرة، فأسلم على يديه خلقٌ كثير، وأصبح هذا الفتى الذي عُرف بالترف داعيةً يمشي في الأرض حافياً أحياناً.

استشهد مصعب يوم أحد، فلم يجد أصحابه ليُكفّنوه إلا نَمْرَةً (بردة صغيرة)، فكانوا إذا غطّوا بها رأسه بدت قدماه، وإذا غطّوا قدميه بدا رأسه، فأمرهم النبي ﷺ أن يغطّوا رأسه ويجعلوا على رجليه شيئاً من الإذخر (نبات).

صحيح البخاري (كتاب الجنائز والمناقب).

نظر النبي ﷺ إليه وقال: «لقد رأيتك بمكة وما بها أحدٌ أرقّ حلّة ولا أحسن لَمّة منك، ثم أنت شعث الرأس، في بردة»، وكأن هذه الكلمات وحدها ملّخصٌ لرحلة حياةٍ كاملةٍ اختصرها القدر في جملتين.

## ◆ وقفة تأمل

فتفكر أن مصعباً لم يفرض عليه الزهد، بل اختاره وهو يملك بدائله كاملة. من ترك النعيم وهو قادرٌ عليه، أصدقُ زهداً ممن لم يذقه قط، ذلك أن زهد من لم يجرب الترف قد يكون جهلاً به لا تجاوزاً له. رحلته من أرقّ ثياب مكة إلى بردةٍ لا تكفي جسده تختصر معنى أن الدنيا مهما بلغت لا تساوي عند صاحب اليقين شيئاً، وأن أئمن ما يملكه المرء ليس ما يرتديه، بل ما يحمله في صدره.



## الفصل التاسع عشر

# القناعة



القناعة رضا القلب بما قسم الله، فتستغني النفس ولو كان المال قليلاً.  
قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً، وقنّعه

الله بما آتاه». سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في هذا الغنى الذي لا يُقاس بكثرة المال.

# ليس الغنى عن كثرة العَرَض

النبي ﷺ - كما رواه أبو هريرة

كان مفهوم الغنى عند عامة الناس، كما هو اليوم، مرتبطاً بكثرة المال والمتاع، فمن ملك أكثر كان في نظرهم أغنى. فجاء النبي ﷺ ليقبّل هذا المفهوم من أساسه، مبيناً أن الغنى الحقيقي مقامٌ قلبي لا يُقاس بموازين الأموال والممتلكات الظاهرة.

قال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الرقاق، حديث حقيقة الغنى).

لم ينفِ النبي ﷺ فضل المال ولا حاجة الناس إليه، لكنه أراد أن يُصحح مقياس الغنى الحقيقي: فقد يملك المرء الكثير ويظل قلبه فقيراً متعطشاً لمزيدٍ لا ينتهي، وقد يملك القليل ويكون أغنى الناس لأن قلبه استغنى بما آتاه الله.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبّر أن الفقر الحقيقي فقر النفس لا فقر اليد، وأن الغنى الحقيقي غنى القلب لا غنى الجيب. من رأيته يملك الكثير ولا يشبع أبداً، فهو الفقير الحقيقي وإن

بدا غنياً، ومن رأيتَه يملك القليل وقلبه راضٍ مطمئن، فهو الغني الحقيقي وإن  
بدا فقيراً. القناعة كنزٌ لا يفنى، كما قال الحكماء من قبل.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة

# قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

كان عبد الله بن مسعود من أشد الملازمين للنبي ﷺ وأكثرهم حفظاً لحديثه، وكان مما حفظه ونقله للأمة حديثاً يضع معياراً واضحاً للفلاح لا يشترط فيه الغنى الفاحش ولا حتى الكفاية الواسعة، بل يكتفي بما يسد الحاجة الأساسية إن اقترن برضا القلب.

قال النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً، وقتعه الله بما آتاه».

صحيح مسلم (كتاب الزكاة، حديث الفلاح بالكفاف والقناعة).

لم يربط النبي ﷺ الفلاح بكثرة الرزق، بل بأمرين: الإسلام أولاً، ثم القناعة بما قسمه الله ثانياً، ولو كان هذا القسم كفافاً لا يزيد ولا يفيض، فجعل الرضا القلبي شرطاً للفلاح لا الوفرة المادية.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن معايير الفلاح في ميزان الشرع تختلف تماماً عن معايير النجاح في ميزان الدنيا. من ربط سعادته بتحصيل مزيدٍ لا نهاية له، ظل يركض خلف

سرابٍ لا يُدرَكُ؛ ومن قنع بما آتاه الله بعد أن بذل السعي المشروع، وجد  
الفلاح الذي وصفه النبي ﷺ في هذا الحديث الموجز الجامع.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة

# ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس

أبو هريرة رضي الله عنه

كان أبو هريرة الذي عاش سنواتٍ من حياته فقيراً معدماً يشدّ الحجر على بطنه من الجوع، من أكثر الناس فهماً لحقيقة القناعة، إذ عاش تجربتها بنفسه قبل أن يرويها للناس. حفظ من النبي ﷺ نصيحةً جامعة تلخص طريق الغنى الحقيقي في جملةٍ واحدة.

قال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس».

أخرجه الترمذي والحاكم، وقد حسّنه بعض أهل العلم.

لم يكن هذا الحديث دعوةً للكسل أو ترك السعي، بل تصحيحاً لموقف القلب من نتيجة السعي: أن يرضى المرء بما قسمه الله له بعد أن يبذل جهده، فلا يظل ساخطاً متحسراً على ما لم يُقدّر له، فيتحوّل رضاه هذا إلى غنى حقيقي لا يضاهيه غنى المال.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن الرضا بالقسمة بعد بذل الجهد المشروع هو الطريق الوحيد للغنى الذي لا ينضب. من ظل ساخطاً على نصيبه مهما بلغ، لن يشبع أبداً ولو ملك خزائن الأرض؛ ومن رضي بقسمة الله بعد سعيه، وجد في هذا الرضا غنى لا تصل إليه كل ثروات الدنيا مجتمعة.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة



# فكأنما حيزت له الدنيا

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

كان عبد الله بن عمرو بن العاص شديد الحرص على تقييد كل ما يسمعه من النبي ﷺ، وحفظ من بين ما حفظه حديثاً يضع معياراً بالغ البساطة لمن يملك الدنيا كلها حقاً، معياراً لا علاقة له بحجم الثروة، بل بتوفر أساسيات ثلاث فحسب.

قال النبي ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».

أخرجه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الترمذي.

لم يشترط النبي ﷺ لحيازة الدنيا كاملةً في هذا الحديث إلا ثلاثة أمور بسيطة يغفل عنها كثيرٌ من الناس لتوفرها المعتاد: الأمن، والعافية، وقوت اليوم، فمن توفرت له هذه الثلاث ولم يشعر بالغي، فقد حُرِمَ القناعة رغم توفر أسبابها كاملة.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن أعظم النعم غالباً ما تكون أكثرها غفلةً عنها لتوفرها الدائم: الأمن الذي نمشي فيه دون خوف، والعافية التي تتحرك بها دون ألم، وقوت اليوم الذي نجده حاضراً دون كدح مضمّن. من تأمل هذه النعم الثلاث وقارنها

بحرمان كثيرين منها في أصقاع الأرض، أدرك أنه يملك من الدنيا ما يكفيه  
ليكون قانعاً شاكراً.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة

# طوبى لمن هُدي للإسلام

فضالة بن عبيد رضي الله عنه

كان فضالة بن عبيد صحابياً شهد بيعة الرضوان، وحفظ من النبي ﷺ حديثاً يصف فيه أعلى درجات السعادة في الدنيا، لا بمقاييس الثروة والجاه، بل بمقاييس يجمع بين الهداية والكفاف والقناعة في جملةٍ واحدةٍ موجزةٍ.

قال النبي ﷺ فيما رواه فضالة بن عبيد: «طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع».

أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن.

ربط النبي ﷺ الطوبى (وهي كلمة تحمل معنى غبطة الحال وطيب العيش) بثلاثة أمور مجتمعة: الهداية للإسلام أولاً، ثم كفاف العيش ثانياً، ثم القناعة به ثالثاً، فلا تكفي الهداية وحدها، ولا يكفي الكفاف وحده، بل لا بد من اجتماعهما مع رضا القلب.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبر أن السعادة الحقيقية في هذا الحديث النبوي لا تُبنى على الوفرة، بل على اجتماع الهداية والكفاية والرضا. قد يجتمع الكفاف مع السخط فلا يجد

صاحبه طوبى ولا سعادة؛ لكن حين يقترن الكفاف بالقناعة، يتحقق أعلى  
معنى الغبطة الذي بشر به النبي ﷺ.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة

# أحبّ ألا أكل إلا من عمل يدي

سلمان الفارسي رضي الله عنه — قناعته برغم عروض الغنى

بعد رحلة سلمان الفارسي الطويلة بحثاً عن الدين الحق، وإسلامه على يد النبي ﷺ، صار من أخصّ أصحابه، ثم وُليّ إمارة المدائن في خلافة عمر بن الخطاب، فأصبح أميراً يستحق راتباً كاملاً من بيت المال يوسّع به عيشه كما يفعل غيره من الأمراء، لكنه اختار طريقاً مختلفاً تماماً.

كان سلمان يتقاضى راتبه من بيت المال فيتصدق به كله، ويعيش من عمل يده كصانع سِعف، فلما سُئِلَ عن سبب ذلك مع قدرته على العيش الرغيد من راتبه المشروع، قال: أحبّ ألا أكل إلا من عمل يدي.

الحادثة مشهورة في كتب الزهد والتراجم (حلية الأولياء لأبي نعيم، وصفة الصفوة لابن الجوزي). لم يكن سلمان يرفض المال المشروع تكبراً أو تشدداً، بل اختار القناعة بأقل ما يكفيه من كدّ يديه، مؤثراً هذا العيش البسيط على توسعةٍ كان يملك حقها الكامل، لأن قلبه استغنى بما قنع به.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن القناعة الحقيقية تُختبر أشد ما تُختبر حين يُعرض على المرء توسعةٌ مشروعة فيرفضها اختياراً، لا حين يُحرم منها اضطراراً. سلمان لم يكن عاجزاً عن

الغنى، بل كان قادراً عليه فأثر القناعة، وهذا هو الفارق بين قناعة المضطر وقناعة المختار.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة

# رضيتُ بالله رباً

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه - إعلان القناعة في أوج الفقر

عاش أبو ذر الغفاري آخر أيامه في الرَبْذَة بعيداً عن المدينة، فقيراً معدماً، لا يملك من الدنيا شيئاً يُذكر، حتى لم يجدوا له عند وفاته كفناً كاملاً يسترونه به. ومع كل هذا الفقر المدقع، لم يكن أبو ذر يشعر بالحرمان، بل كان يستقبل حاله هذه بقناعةٍ ورضا نادرين.

كان أبو ذر يقول عن نفسه، كما ورد عنه في كتب التراجم: من أحب أن ينظر إلى رجلٍ مات فقيراً، فلينظر إليّ. وكان يردد قوله المأثور: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً.

هذا القول مشهور في كتب التراجم والزهد (سير أعلام النبلاء للذهبي)، وأصل فقره وزهده ثابت في مصادر السيرة المعتمدة.

لم يكن فقر أبي ذر مصدر شكوى عنده، بل كان يفتخر به علانيةً أمام الناس، لأنه كان يرى في قناعته بما قسم الله له غنىً لا يقارنه غنى المال، ويرى في رضاه بربه وإسلامه ونبيه كنزاً لا تُدانيه كل خزائن الدنيا.

◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أعلى درجات القناعة أن يفخر المرء بحاله لا أن يستحي منها، حين يكون هذا الحال ثمرة اختيارٍ لا تقصير. أبو ذر لم يخجل من فقره لأنه لم يكن ناتجاً عن كسلٍ أو تفريط، بل عن زهدٍ اختاره طواعية. من قنع بقسمة الله له راضياً معلناً هذا الرضا، بلغ من الغنى النفسي ما لا يبلغه أصحاب الخزائن المملأى.

مواقف الرجال · الفصل التاسع عشر: القناعة



## الفصل العشرون

# الحَيَاءُ



الحياءُ خلقٌ يمنع صاحبه من كل قبيح، وهو شعبةٌ من شُعب الإيمان لا يأتي إلا بخير. قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «الحياءُ شعبةٌ

من الإيمان». سبعة مواقف من النبي ﷺ وصحابته في هذا الخلق الرقيق  
الذي يحفظ للقلب طهارته وللمجتمع سلامته.

# أشدّ حياءً من العذراء في خدرها

النبي ﷺ - كما رواه أبو سعيد الخدري

وصف أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حياء النبي ﷺ بوصفٍ بالغ الدقة، مستعيناً بصورةٍ يعرفها كل عربي: حياء الفتاة العذراء التي لم تتزوج بعد، وهي تجلس في خدرها (حجرتها المستورة) بعيداً عن أعين الرجال، أشد ما يكون حياء الفتيات كلهن. فجعل حياء النبي ﷺ أشد من هذا المثل الذي يُضرب به المثل في شدة الحياء..

قال أبو سعيد الخدري: «كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب المناقب، حديث حياء النبي ﷺ).

لم يكن حياء النبي ﷺ ضعفاً في مواجهة الحق، فقد كان أجراً للناس في قول كلمة الحق وأشدّهم في مواجهة الباطل، لكنه كان يمتنع عن مواجهة الناس بما يكرهون مباشرة، فيكتفي بأن يظهر الكراهية على وجهه دون أن يجرح أحداً بكلامٍ صريحٍ لاذع.

فتدبر أن الحياء لا يتناقض مع الشجاعة في قول الحق، فالنبي ﷺ كان أشد  
الناس حياءً وأشدّهم صدعاً بالحق في آنٍ واحد. الحياء الحقيقي رقةٌ في التعامل  
مع مشاعر الآخرين، لا ضعفاً عن مواجهة الباطل. من جمع بين الحياء والحزم،  
بلغ خُلُقاً نبوياً رفيعاً قلّ من يجمع بين طرفيه.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء

# استحييتُ أن أسأله لمكاني منه

علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حياؤه من مصاهرة النبي ﷺ

كان علي بن أبي طالب رجلاً كثيراً المذي (سائلٌ يخرج من الرجل عند الشهوة دون إنزال)، وأراد أن يسأل النبي ﷺ عن حكم هذه الحالة وما يجب فيها من طهارة، لكنه وجد في نفسه حرجاً شديداً من طرح هذا السؤال مباشرة، إذ كانت فاطمة بنت النبي ﷺ زوجته، فاستحي أن يخوض في مثل هذا الموضوع الحساس مع من هو صهره.

قال علي: كنتُ رجلاً مذاءً، فاستحييتُ أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته مني، فأمرتُ المقداد بن الأسود فسأله، فقال: «فيه الوضوء».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الطهارة، حديث حكم المذي).

لم يمنعه حياؤه من طلب الحكم الشرعي الذي يحتاجه، لكنه وجد طريقاً وسطاً يجمع بين حاجته إلى العلم وحيائه من موضع القرابة الحساس، فوكل من يسأل نيابة عنه دون أن يفوت عليه معرفة الحكم.

◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الحياء الشرعي لا يمنع طلب العلم، بل يهذب طريقة طلبه. علي لم يترك السؤال لأن الحياء منعه، بل وجد وسيلةً تحفظ له حياءه وتحصل له عليه معاً. من وجد في نفسه حياءً من سؤالٍ ضروري، فليبحث عن طريقةٍ تجمع بين أدب الحياء وضرورة العلم، لا أن يترك السؤال بحجة الحياء فيبقى جاهلاً بحكم يحتاجه.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء

# أفلا أستحي من تستحي منه الملائكة؟

عثمان بن عفان رضي الله عنه - حياءُ شهدت له الملائكة

كانت عائشة رضي الله عنها تجلس في بيتها في حالة من عدم التحفظ الكامل أحياناً حين يدخل عليها أبوها أبو بكر أو عمر بن الخطاب، فلا تُغيّر من هيئتها كثيراً لأنهما محرمان عليها أصلاً ولأن طبيعة علاقتها بهما تسمح بذلك. فلما استأذن عليها عثمان بن عفان يوماً وهي على تلك الحال، أسرعت فسوّت ثيابها وتحفّظت في جلستها.

فسألها من كان حاضراً عن سبب هذا التفريق في المعاملة بين أبيها وعمر وبين عثمان، فقالت رضي الله عنها: ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة؟ وقد ثبت هذا المعنى في حديث النبي ﷺ نفسه حين قال: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة؟» يعني عثمان.

صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة، حديث حياء الملائكة من عثمان).

لم يكن حياء عثمان صفةً يتصنعها أمام الناس، بل كان قد بلغ من الرسوخ في نفسه حداً استحقّ به هذه الشهادة النبوية العظيمة: أن الملائكة أنفسهم يستحون من رجلٍ عاش حياه سجيّة راسخة لا تكلفاً عارضاً.

فتدبر أن الحياء حين يبلغ في القلب هذا المبلغ، يصبح صفةً تلمسها حتى  
الملائكة. عثمان لم يكتسب هذه الشهادة بمظهرٍ خارجي فقط، بل بطهارة قلبٍ  
استحقت أن يستحي منها من لا يعصي الله طرفة عين. من أراد أن يُعرف  
بحيائه، فليطلبه أولاً في سريرته قبل أن يظهر في مظهره.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء



# الحياء لا يأتي إلا بخير

عمران بن حصين رضي الله عنه - تصحيح فهم خاطئ عن الحياء

سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء، وكأنه يلومه على كثرة حيائه ظاناً أن الحياء قد يكون سبباً في ضعف الرجل وتفريطه في حقوقه، فتدخل النبي ﷺ ليصحح هذا الفهم الخاطئ الذي قد يظنه بعض الناس عن هذا الخلق العظيم.

قال النبي ﷺ فيما رواه عمران بن حصين: «دعه، فإن الحياء من الإيمان».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الإيمان، حديث عمران بن حصين في الحياء).  
لم يقبل النبي ﷺ أن يلام أحدٌ على كثرة حيائه، بل اعتبر هذا اللوم نفسه خطأً يستوجب التصحيح، لأن الحياء بخلاف ما يظنه بعض الناس، ليس ضعفاً أو تفريطاً، بل هو جزءٌ أصيل من الإيمان يستحق أن يُعزَّز لا أن يُذمَّ.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن بعض الناس يخلطون بين الحياء الحمود والنجل المذموم الذي يمنع صاحبه من أداء واجباته أو المطالبة بحقوقه. الحياء الذي يمدحه الشرع لا يُنتج

إلا خيراً، فإن رأيت حياءً يُوقع صاحبه في ضياعٍ حقٍ واجبٍ، فاعلم أن ذلك  
نَجْلٌ لا حياءَ، والفارق بينهما دقيقٌ يحتاج تمييزاً واعياً.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء

# استحيوا من الله حق الحياء

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - الحياء الكامل من الله

جلس النبي ﷺ يوماً مع أصحابه، ومن بينهم عبد الله بن مسعود، فألقى عليهم مقولةً بدت في ظاهرها تقريراً بسيطاً، لكنها حملت معنىً عميقاً حين فصلها لهم، إذ أراد أن يرفع فهمهم للحياء من مجرد خلق اجتماعي إلى عبادةٍ قلبية متكاملة.

قال النبي ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء». فقلنا: يا نبي الله، إنا نستحي والحمد لله. قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب، رواه عبد الله بن مسعود.

لم يكتفِ الصحابة بالإجابة السطحية عن سؤالهم أنهم يستحون من الله، بل أوضح لهم النبي ﷺ أن الحياء الكامل يشمل حفظ الفكر والجوارح كلها، وتذكر الموت الدائم، وترك زخارف الدنيا حين تتعارض مع الآخرة.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبر أن الحياء من الله ليس شعوراً عابراً يُقال باللسان، بل منهج حياة متكامل يشمل الفكر والجوارح والقلب. من ظن أنه استحيا من الله بمجرد الشعور،

فليراجع نفسه بمعيار النبي ﷺ الدقيق: هل حفظ رأسه وبطنه وذكر الموت وترك زينة الدنيا؟ فإن لم يفعل، فحياؤه من الله لا يزال ناقصاً.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء

# اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَتِرُوا

يعلى بن أمية رضي الله عنه — خطبة النبي ﷺ في الحياء الجسدي

رأى يعلى بن أمية رجلاً يغتسل في مكانٍ عامٍ دون أن يستتر، فكشف عن عورته أمام الناس دون مبالاة، فأخبر يعلى النبي ﷺ بما رأى، فغضب النبي ﷺ من هذا التساهل في أمرٍ يمس حياء المسلم وكرامته، فقام خطيباً في الناس ليرتخ أديباً عاماً يخص كل مسلم.

فقال النبي ﷺ فيما رواه يعلى بن أمية: «إن الله حيٌّ ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر».

أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

لم يعتبر النبي ﷺ هذا الأمر تفصيلاً شخصياً لا يستحق الاهتمام، بل جعله موضوع خطبة عامة، لأن الحياء الجسدي جزءٌ من منظومة الحياء الكاملة التي أراد النبي ﷺ أن يغرسها في أمته، وربط ذلك بصفة إلهية: أن الله نفسه حيٌّ يحب الستر.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن الحياء ليس خلقاً معنوياً فقط، بل يمتد إلى الجانب الجسدي في التعامل مع النفس والآخرين. من علم أن الله حيٌّ ستير يحب هذين الوصفين

في عباده، أدرك أن التساهل في كشف العورات ليس أمراً هيناً، بل مخالفةً  
لصفةٍ يحباها الله ويريد أن يراها في خلقه.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء

# الله أحق أن يُستحيا منه من الناس

بهز بن حكيم رضي الله عنه - حياءٌ حتى في الخلوة

روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده حديثاً يسأل فيه رجلُ النبي ﷺ عن أمرٍ يخص أدب النظر إلى العورات حتى في أضيق الخصوصية، فيسأله: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ وهو سؤالٌ يكشف حرص الصحابة على معرفة حدود الحياء حتى في أخص أحوالهم.

فقال النبي ﷺ: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك». قال: قلتُ: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت ألا يراها أحدٌ فلا يرينها». قلتُ: يا رسول الله، فإذا كان أحدنا خالياً؟ قال: «الله أحق أن يُستحيا منه من الناس».

أخرجه أبو داود والترمذي، وحسنه بعض أهل العلم. لم يقصر النبي ﷺ الحياء على الحضور بين الناس، بل مدّه إلى لحظة الخلوة التامة التي لا يراقب فيها المرء إلا نفسه، مؤكداً أن الله أحقّ بالحياء من أي مخلوق، فحياء العبد من ربه لا ينبغي أن يقل عن حيائه من الناس، بل ينبغي أن يفوقه.

فتدبر أن الحياء الكامل لا يتوقف عند غياب أعين الناس، بل يستمر ما دام الله يرى. من ضبط حيائه فقط أمام الناس وتركه في خلوته، فإن حيائه من الناس أعظم عنده من حيائه من ربه، وذلك خللٌ في ترتيب الأولويات. الله أحق أن يُستحيا منه من كل مخلوق، ولو غاب عنه كل الشهود إلا هو.

مواقف الرجال · الفصل العشرون: الحياء



الفصل الحادي والعشرون

# التَّوَاضُّعُ



التواضع أن يعرف المرء قدر نفسه فلا يتجاوزه، مهما بلغ من مكانةٍ أو علمٍ أو نسب. قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «وما تواضع أحدٌ لله إلا

رفعه الله». سبعة مواقف من صحابة ما زادهم فضلهم إلا انكساراً لله  
وتواضعاً للخلق.

## خليفةٌ يحمل الدقيق بنفسه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أرملةٌ لا تعرف من يطعمها

كان عمر بن الخطاب يخرج ليلاً يتفقد أحوال الرعية متخفياً، لا يحمل معه حاشيةً ولا حرساً يُظهرون مكاتته، بل يمشي في عتمة الليل كرجلٍ من عامة الناس. سمع ذات ليلة صوت طفلٍ يبكي من الجوع في خيمةٍ خارج المدينة، فاقترب ليجد امرأةً تُسكن أطفالها بقدرٍ على النار لا يوجد فيه إلا ماءٌ وحجارة، توهمهم بأنه طعامٌ ينضج حتى يناموا من التعب.

فلما علم عمر بحالها، لم يفعل ما يفعله كثيرٌ من الحكّام: أن يأمر خادماً بإحضار الطعام ويكتفي بذلك. بل أسرع إلى بيت المال بنفسه، وحمل على ظهره جراباً من الدقيق والسمن والتمر، ورفض أن يحمله عنه خادمه، وقال: أتحمل أنت وزري يوم القيامة؟!

ثم أوقد النار وطبخ للمرأة وأطفالها بيده حتى شبعوا، وهي لا تعرف أنه أمير المؤمنين.

الحادثة مشهورة في كتب التاريخ والزهد (البداية والنهاية لابن كثير)، من أشهر الحكايات المأثورة عن تواضع عمر.

لم يكتفِ عمر بإرسال من يخدم هذه الأسرة، بل أصرّ أن يحمل بنفسه ثقل مسؤوليته عنهم، ورفض أن يُنيب عنه أحداً في حمل الطعام إليهم.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن أرقى صور التواضع أن يخدم القائد رعيته بيده لا بأمره فقط. عمر لم يرَ في حمل جراب الدقيق انتقاصاً من هيئته، بل رأى في تفويضه لغيره تهرباً من مسؤولية يحملها هو شخصياً أمام الله؛ فالخليفة الذي يهاب حمل جراب ليلاً، لن يهاب التقصير في حقوق رعيته نهاراً.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع

# احثوا في وجوه المدّاحين التراب

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - فراره من المديح

كان سعد بن أبي وقاص من العشرة المبشرين بالجنة، وقائد فتح العراق، ومستجاب الدعوة كما شهد له النبي ﷺ، فضائل تكفي وحدها لتغري صاحبها بشيء من الاعتداد بنفسه. ومع هذا المقام الرفيع لم يكن يحتمل أن يمدح في وجهه. سمع رجلاً يوماً يثني عليه ويُطريه في حضرته إطرأً بالغاً، فما كان منه إلا أن أمر بحشو التراب في وجه المادح.

وكان يستشهد بما رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال حين سمع رجلاً يمدح آخر: «ويحك، قطعتَ عنق صاحبك» ثم قال: «إذا كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أَحْسِبُ فلاناً، والله حسيبه، ولا أُرْكِ على الله أحداً».

صحيح مسلم (كتاب الزهد والرقائق)، وأصل فعل سعد مع المداحين مروي في كتب التراجم (سير أعلام النبلاء للذهبي).

لم يكن سعد يخشى المديح لأنه يكرهه بطبعه، بل لأنه يعرف خطره على النفس، فأثر أن يذل نفسه بالتراب على أن يترفع بمديح قد يدخل الكبير إلى قلبه.

◆ وقفة تأمل

واعلم أن أخطر أعداء التواضع ليس الانتقاد، بل الثناء. من يعرف قدر نفسه لا يحتاج من يُذكره بها، لكنه يحتاج من يحميه من مديح يُنسيه إياها. سعد فرّ من كلمات المديح كما يفرّ غيره من كلمات الذم، لأنه أدرك أن التراب على الوجه أهون من كبرٍ يستقر في القلب.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع

# أثقل من أحد في الميزان

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - تواضع لم يفسده تكريم النبي ﷺ

كان عبد الله بن مسعود رجلاً نحيف الساقين، فصعد يوماً شجرةً بأمر النبي ﷺ ليأتي بشيء منها، فبدت ساقاه النحيلتان أمام بعض الصحابة، فضحك بعضهم منها. فسمع النبي ﷺ ضحكهم، فقال محدثاً لهم بمكانة ابن مسعود عنده بكلماتٍ قلبت المشهد رأساً على عقب:

«أتضحكون من دقة ساقيه؟! والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند حسن، وأصل مكانة ابن مسعود العلمية ثابتة في الصحيحين. مع هذا التكريم النبوي الرفيع الذي كان كفيلاً بأن يجعل صاحبه يتباهى به بين الناس، لم يتغير ابن مسعود قيد أمثلة، بل ظل يخدم النبي ﷺ بنفس البساطة التي عُرف بها، يحمل نعليه ويستره عند الاغتسال.

## ♦ وقفة تأمل

فتأمل أن التواضع الحقيقي يظهر في كيفية تعامل المرء مع تكريمه لا مع إهانته. كثيرون يتغيرون حين يُمدحون أو يُرفع قدرهم، لكن ابن مسعود بقي على حاله وهو يسمع النبي ﷺ يزنه بجبل أحد، فلم يزنه هذا التكريم عن خدمة

أبسط الناس؛ فالساقان اللتان سُخِّرَ منهما كانتا في الميزان الحقيقي أثقل من جبلٍ، وهذا وحده كفيلاً بأن يُنسي المرء نفسه لولا تواضعه.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع



# بطنُ ينام على التراب من أجل العلم

أبو هريرة رضي الله عنه - تواضع الفقر واختياره

قدم أبو هريرة المدينة مسلماً فقيراً لا أهل له ولا مال، فأثر أن يلازم النبي ﷺ ملازمةً تامة، ينام في مسجده مع أهل الصُّفَّة، ويشدّ الحجر على بطنه من شدة الجوع، وكان يخدم بعض الصحابة الأغنياء مقابل شبع بطنه أحياناً، غير مبالٍ بما قد يراه الناس انحطاطاً في المنزلة.

قال عن نفسه فيما رواه البخاري: «كنتُ امرأً مسكيناً، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصنفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم... وأشهد ما لا يشهدون، وأحفظ ما لا يحفظون».

صحيح البخاري (كتاب العلم، حديث حرص أبي هريرة على العلم).  
لم ينجل أبو هريرة من وصف فقره وجوعه علناً، بل رأى أن هذا الفقر نفسه كان سبباً في تفرّغه لحفظ أكبر قدرٍ من حديث النبي ﷺ، فصار من أكثر الصحابة رواية.

فاعلم أن التواضع أن يقبل المرء موقعه المتواضع في نظر الناس إن كان طريقاً إلى غايةٍ أرفع. أبو هريرة لم يستج من فقره لأنه اختاره طوعية طلباً للعلم، ووجد أن ما بدا نقصاً في عين الناس كان سبب رفعتة عند الله؛ فما خسره من ملء بطنه، ربحه أضعافاً في ملء صدره.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع

# تواضعٌ يتبادلُه عالمان

زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما

أراد عبد الله بن عباس، وهو ابن عم النبي ﷺ وخبير الأمة في التفسير، أن يركب زيد بن ثابت دابته، فأمسك بركابها يُمسكها له تكريماً وإجلالاً لمكانته كعالم بالفرائض وجامع للقرآن. فاستنكر زيد ذلك وقال: خلّ عنها يا ابن عم رسول الله ﷺ! فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا.

فَقَبَّلَ زيد يد ابن عباس عند ذلك، وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

أخرجه الحاكم في المستدرک، والذهبي في سير أعلام النبلاء، بسندٍ يُقبل مثله في فضائل الأعمال. تنافس الرجلان لحظتها لا على من يعلو الآخر، بل على من يخدم صاحبه أكثر، فكان كل منهما يرى في الآخر فضلاً يستحق التواضع له.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبر أنه حين يتنافس أهل الفضل على التواضع لا على التقدم، تصلح القلوب ويسلم المجتمع. لم يكن أحد الرجلين يحاول إثبات مكانته، بل كل منهما كان يبحث عن سببٍ يُعلي به صاحبه، وذلك أصدق معاني الأخوة في الفضل؛

فحين يتسابق العلماء على خدمة بعضهم بدل التنافس على التقدم، يصير العلم  
نفسه بركة لا فتنة.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع

# سلمان ابن الإسلام

سلمان الفارسي رضي الله عنه - تواضع عن التفاخر بالنسب

كان سلمان أعجمي الأصل، لا نسب عربي معروف يفخر به بين الصحابة. وقد حاول بعض من كانت في قلوبهم بقايا عصبية الجاهلية أن يستفزوه بسؤاله عن أصله ونسبه استعلاءً عليه. فلم يغضب سلمان ولم يتكلف انتساباً لا يملكه.

فقال حين سُئل عن نسبه: أنا سلمان ابن الإسلام، من بني آدم. وحين أراد بعضهم انتقاصه، قال النبي ﷺ مكرماً له فيما نُقل عنه: «سلمان منا أهل البيت»، رفعاً لمكانته فوق كل اعتبارٍ نسبي.

أصل قول النبي ﷺ "سلمان منا أهل البيت" أورده الطبراني وغيره، وله شواهد تقويه، وقصة نسبه مشهورة في كتب التراجم.

لم يكن سلمان بحاجة لأن يخترع نسباً يتفاخر به، فوجد في انتسابه للإسلام وحده عزّاً يغنيه عن كل نسبٍ أرضي.

## ♦ وقفة تأمل

فاعلم أن التواضع الحقيقي ألا يبحث المرء عما يرفعه في عيون الناس حين يفتقر إليه، بل يجد كفايته فيما آتاه الله. سلمان لم يحتج نسباً يتباهى به، لأن إسلامه

كان كافياً ليكون منزلته أعلى من كل الأنساب؛ فمن اكتفى بما عند الله، لم  
يحتج أن يستجدي اعترافاً من أحد.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع

# خُدُّ عَلَى التَّرَابِ تَوْبَةً مِنْ كَلِمَةٍ

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه - موقفه مع بلال بن رباح

وقع خلافٌ بين أبي ذر الغفاري وبلال بن رباح، فغضب أبو ذر غضبةً عابرةً وقال لبلال كلمةً نابيةً عيّره فيها بأمه، فقال له: يا ابن السوداء! فحزن بلال حزناً شديداً وذهب يشتكي إلى النبي ﷺ.

فلما علم النبي ﷺ بما قال أبو ذر، غضب غضباً شديداً وقال له: «أعيرته بأمه؟! إنك امرؤٌ فيك جاهلية». فلم يحتمل أبو ذر أن يسمع هذا التوبيخ من النبي ﷺ، فأسرع ووضع خده على الأرض، وقال لبلال: والله لا أرفع خدي حتى تطأه بقدمك.

صحيح البخاري (كتاب الإيمان، حديث أبي ذر مع بلال).

لم يكتفِ أبو ذر بالاعتذار اللفظي، بل أراد أن يُذلَّ نفسه بجسده أمام من ظلمه، تكفيراً عملياً عن كبرِ استشعره النبي ﷺ في كلمته، فحول توبيخ النبي ﷺ له إلى محطة تواضع خالدة في التاريخ.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبّر أن التواضع الحقيقي يظهر في سرعة الرجوع عن الخطأ وحجم التكفير عنه، لا في ادّعاء عدم الوقوع فيه أصلاً. أبو ذر، رغم مكانته وصدقه المشهود

له به، لم يستنكف أن يضع خده على التراب استجابة لعتاب النبي ﷺ، فعلّمنا  
أن التواضع لا يتناقض مع الفضل، بل هو تمامه؛ فمن كان صادقاً حقاً،  
صدق أيضاً في اعترافه بزلالاته.

مواقف الرجال · الفصل الحادي والعشرون: التواضع



الفصل الثاني والعشرون

# العلم والفقہ في الدين



العلم النافع نورٌ يهدي صاحبه وينفع به غيره، وقد أثنى النبي ﷺ على طلبته وحملته. قال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «من يُرد الله به خيراً

يُفَقِّهه في الدين». سبعة مواقف من صحابة حملوا العلم وبذلوه، ختاماً لهذه  
المواقف التي جمعت خصال الرجال.

# غلامٌ بين كبار بدر

عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما

كان عمر بن الخطاب يُدني عبد الله بن عباس في مجالسه رغم صغر سنه، ويُشركه في مشاورة كبار الصحابة من أهل بدر، فاستغرب بعضهم ذلك وقالوا: أئدخل هذا الغلام معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم. ثم أراد أن يثبت لهم فضل علمه بدليلٍ عملي لا بمجرد الدفاع عنه.

فسألهم يوماً عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: 1)، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم. فسأل عمر ابن عباس: أأؤكد تقول يا ابن عباس؟ فقال ابن عباس: لا، بل هي علامةُ أجل رسول الله ﷺ أعله الله إياه، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامةُ أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

صحيح البخاري (كتاب التفسير، تفسير سورة النصر).

لم يستنكف عمر أن يُقرّ بفضل غلامٍ صغيرٍ أمام كبار الصحابة، مقدّمًا العلم على اعتبار السن، ليعلم من حوله أن الفضل بالفهم لا بطول العمر وحده.

فتدبر أن معيار التقدير في العلم هو الفهم لا السن، وعمر أدرك ذلك فأصرّ على إثبات فضل ابن عباس عملياً أمام من شكّ فيه. من يقدر العلم حيث وجدته، ولو في أصغر الحاضرين، يحفظ للأمة عقولها الواعدة؛ فالعبرة بنور القلب لا بعدد السنين.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقّه في الدين

# اللهم فقهه في الدين

عبد الله بن عباس رضي الله عنه — دعوة النبي ﷺ له

كان عبد الله بن عباس غلاماً صغيراً حين ضمّه النبي ﷺ يوماً إلى صدره ودعا له بدعوةٍ غيرت مسار حياته العلمية. لم يكن ابن عباس قد بلغ الحلم بعد، لكن النبي ﷺ رأى فيه استعداداً يستحق أن يُدعى له بأعلى مراتب العلم.

قال النبي ﷺ: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل». فاستجاب الله هذه الدعوة استجابةً عظيمة، حتى صار ابن عباس "حبر الأمة" و"ترجمان القرآن"، يُرجع إليه كبار الصحابة في التفسير رغم صغر سنه.

صحيح البخاري (كتاب الوضوء وفضائل الصحابة، حديث دعاء النبي ﷺ لابن عباس).

لم يكن علم ابن عباس نتيجة جهدٍ بشري وحده، بل بركة دعوةٍ نبوية اقترنت باستعدادٍ ذاتي وحرصٍ شديد على طلب العلم من كل من لقيه من الصحابة.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن العلم النافع هبةٌ إلهية تُطلب بالدعاء كما تُطلب بالجهد. من جمع بين صدق التوجه إلى الله وبذل السعي، بلغ من العلم ما لا يبلغه من اكتفى

بأحدهما دون الآخر؛ فتلك سنة الله في العلماء الربانيين: دعاءٌ يفتح القلب،  
وجهدٌ يملؤه.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقہ في الدين

# أفتان أنت يا معاذ؟

معاذ بن جبل رضي الله عنه - فقه التيسير

كان معاذ بن جبل يؤمّ قومه في صلاة العشاء، فأطال بهم القراءة يوماً بسورة البقرة، فانصرف رجلٌ من خلفه وصلى منفرداً لأنه كان متعباً من عمل يومه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب غضباً شديداً، ودعا معاذاً وعاتبه عتاباً بليغاً.

قال له النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟! إذا أمت الناس فاقراً بالشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ باسم ربك، فإن وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة».

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب الأذان، حديث إطالة معاذ في الصلاة).  
لم يكن معاذ مخطئاً في علمه بفضل القراءة الطويلة، لكنه أخطأ في تطبيق هذا العلم على واقع الناس المتنوع، فعلمه النبي ﷺ أن العلم الصحيح يقتزن بفقهِ الأولويات ومراعاة أحوال المدعوين.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبر أن العلم وحده لا يكفي دون فقه في تنزيله على الواقع. من حمل علماً صحيحاً لكنه أَرهق به من حوله دون مراعاة أحوالهم، حوّل الفضل إلى فتنة.

الفقه الحقيقي يجمع بين صحة المعلومة وحسن توظيفها؛ فرحة الراعي برعيته من  
صميم علمه، لا زائدة عليه.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقه في الدين



# كُنَيْفٌ مُلًى عَلَماً

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

كان عبد الله بن مسعود من أوائل من أسلموا، وكان يلازم النبي ﷺ ملازمة شديدة حتى في أوقات خلوته، فحفظ من القرآن والسنة ما لم يحفظه كثيرون، رغم صغر جسمه ونحوله الذي كان بعض الناس يستصغرونه بسببه.

قال عنه النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود...» فبدأ به. وقال عنه عمر بن الخطاب واصفاً غزارة علمه رغم صغر جسمه: «كُنَيْفٌ مُلًى عَلَماً»، أي وعاءٌ صغير امتلأ حتى فاض بالعلم رغم صغر حجمه الظاهر.

صحيح البخاري (كتاب فضائل القرآن، حديث "خذوا القرآن من أربعة")، وقول عمر مروي في كتب التراجم (سير أعلام النبلاء).

لم يكن مظهر ابن مسعود الجسدي مقياساً لعلمه، بل كانت ملازمته الدائمة للنبي ﷺ وحرصه على السؤال والفهم هما سبب هذه المكانة العلمية الرفيعة.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أنه لا يُقاس قدر العلم بمظهر حامله. كثيرون حكموا على ابن مسعود بضآلة جسده، لكن قلبه وعقله كانا وعاءً امتلأ بأنفس ما تحمله الأمة من علم؛

فالجواهر لا تُقاس بأحجام أوعيتها، والعبرة بما استقر في الصدر لا بما ظهر على  
الجسد.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقہ في الدين

# لغةٌ جديدةٌ في أقل من شهر

زيد بن ثابت رضي الله عنه — تعلم لغة اليهود

احتاج النبي ﷺ من يقرأ له الكتب التي ترده من يهود المدينة، وكان يخشى أن يقرأها له أحدهم فيدخل فيها تحريفاً لا يُكتشف. فدعا زيد بن ثابت، وكان لا يزال شاباً، وقال له: «إنه يأتيني كتبٌ لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب يهود؟».

فقال زيد: نعم. فتعلم زيد كتابة اليهود (العبرية) في أقل من نصف شهر حتى أتقنها، فصاريكتب للنبي ﷺ إذا كتب إليهم ويقرأ له إذا كتبوا إليه. وفي رواية أخرى أمره أن يتعلم السريانية أيضاً ففعل.

أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحّحه غير واحد من أهل العلم. لم يتردد زيد أمام هذا التكليف الصعب رغم قصر المدة المتاحة، بل جعل من طلب العلم أداةً لحماية أمانة الرسالة من أي تلاعب لغوي قد يقع فيه من لا يتقن اللغة.

## ♦ وقفة تأمل

فتدبر أن العلم النافع لا يقتصر على علوم الدين المباشرة، بل يشمل كل أداةٍ تخدم حفظ الدين وأمانة تبليغه. زيد أدرك أن إتقان لغة الخصم وسيلةٌ لحماية

ترباً معرفياً، فسارع إلى تحصيلها بأقصى جهد؛ فما كل علم نافع يُقرأ في المصحف وحده، بل قد يكون العلم النافع في أداة تحمي أمانة الوحي من التحريف.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقہ في الدين

# إن الله أمرني أن أقرأ عليك

أبي بن كعب رضي الله عنه — سيد القراء

دعا النبي ﷺ يوماً أبي بن كعب وقال له: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» (سورة البينة). فذهل أبي من هذا التكريم العظيم، وسأل النبي ﷺ متعجباً بائساً من الفرح: يا رسول الله، وسماني الله لك؟

فقال النبي ﷺ: «نعم، سمّاك الله لي». فبكى أبي من عظم هذا التشريف. وقد كان أبي من أوائل من كتبوا الوحي، وشهد له النبي ﷺ في حديث آخر بأنه «أقرأ أمتي»، أي أعلمهم بالقرآن.

متفق عليه: صحيح البخاري وصحيح مسلم (كتاب فضائل القرآن، حديث تسمية أبي بن كعب).  
لم يكن هذا التكريم عرضياً، بل ثمرة سنواتٍ من ملازمة أبي للقرآن حفظاً وتدبراً وتعليماً، حتى استحق أن يُخصّه الله بهذا الشرف الفريد بين الصحابة.

## ◆ وقفة تأمل

فاعلم أن أعلى درجات تكريم أهل العلم أن يُذكروا بأسمائهم عند الله، لا عند الناس فقط. طول ملازمة أبي للقرآن هو ما أهّله لهذا الشرف، فاعلم الذي

يُبذل فيه العمر الطويل يستحق أن يُكافأ بمثل هذا التقدير، فمن أعطى القرآن عمره، أعطاه الله من فضله ما لا يخطر بباله.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقہ في الدين

# قيدوا العلم بالكتابة

أبو هريرة رضي الله عنه - تفرغه لحفظ العلم ونشره

بعد أن لازم أبو هريرة النبي ﷺ ملازمةً كاملةً طلباً للحديث، أفنى ما تبقى من عمره في نشر ما حفظه وتعليمه للناس دون كللٍ أو ملل، حتى صار أكثر الصحابة روايةً للحديث النبوي. وكان يحرص على أن يُشجّع من حوله على ضبط العلم بكل وسيلة ممكنة.

وقد كان من بين تلاميذه ومعاصريه من طبق توجيه النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص حين استأذنه في كتابة كل ما يسمعه منه، فقال له النبي ﷺ: «اكتب، فالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق». فصارت هذه الرخصة النبوية أساساً بدأت به مدونات الحديث الأولى، وكان أبو هريرة من أشد الحريصين على نقل هذا العلم جيلاً بعد جيل.

حديث الإذن بالكتابة أخرجه أبو داود بسند صحيح، وحرص أبي هريرة على نشر العلم ثابتاً في عشرات الأحاديث التي رواها والمواقف المذكورة في ترجمته.

لم ير أبو هريرة أن كثرة ما يحمله من علم كافية وحدها، بل جعل نشره وتبليغه للأجيال التالية جزءاً لا يتجزأ من أمانة حمله، فما كتم علماً طلب منه ولا تكاسل عن تعليمه.

## ◆ وقفة تأمل

فتدبر أن العلم أمانةٌ لا تكتمل بالحفظ وحده، بل بالبدل والتبليغ لمن يأتي بعدك. أبو هريرة لم يكتفِ بأن يكون وعاءاً للعلم، بل جعل من نفسه قناة تنقله لمن بعده، وهذا هو الفرق بين عالمٍ يحمل العلم لنفسه وعالمٍ يحمله لأُمته.

مواقف الرجال · الفصل الثاني والعشرون: العلم والفقّه في الدين





## خاتمة

هذه مئة وأربعة وخمسون موقفاً من مواقف رجالٍ ونساءٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، عبر اثنين وعشرين خُلُقاً حملوها في حياتهم اليومية قبل أن تُروى عنهم في كتب التاريخ. لم يكونوا ملائكة معصومين، بل بشراً بذلوا جهدهم فبلغوا بصدق نياتهم وثبات عزائمهم مبلغاً يستحق أن يُروى لكل جيل.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يقرأ سيرهم فيقتدي، لا ممن يقرأها فيعجب ثم يمضي.

تم بحمد الله

# المصادر والمراجع

## أولاً: كتب الحديث الأصلية

- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني.
- جامع الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي.
- سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب النسائي.
- سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد بن ماجه.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
- موطأ الإمام مالك بن أنس.
- المستدرک على الصحيحين، للحاكم النيسابوري.
- السنن الكبرى، للإمام البيهقي.
- الأدب المفرد، للإمام البخاري.

## ثانياً: كتب السيرة والتاريخ

- السيرة النبوية، لابن هشام.
- تاريخ الأمم والملوك، للإمام محمد بن جرير الطبري.
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير.
- دلائل النبوة، للإمام البيهقي.

## ثالثاً: كتب التراجم والتفسير

سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي.

الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني.

صفة الصفوة، لابن الجوزي.

كنز العمال، لعلاء الدين المتقي الهندي.

تفسير الطبري (جامع البيان)، وتفسير ابن كثير.



﴿إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ  
جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ﴾

(حديث متفق على معناه، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه)

اللهم اجعل هذا الكتاب صدقةً جاريةً لي ولأهل بيتي، ينفع به  
من قرأه أو نقله أو دلّ عليه، وأجر لنا أجره ما بقي حرفٌ منه  
يُقرأ أو معنى منه يُقتدى به، إنك سميعٌ مجيبٌ.

وصلی اللہ وسلم علی نبینا محمد وعلی آلہ وصحبہ أجمعین